وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

الموضوع:

أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة

" زيجمونت باومان –أنموذجا– "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة تطبيقية

اعداد الطالبتين :
* هدلي مروة
* ثابتي شريفة

اشراف الاستاذ:
د/ امبارك أحمد

السنة الجامعية: 2022م- 2023م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

الموضوع:

أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة

" زيجمونت باومان –أنموذجا– "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة تطبيقية

اعداد الطالبتين :
* هدلي مروة
* ثابتي شريفة

اشراف الاستاذ:
د/ امبارك أحمد

السنة الجامعية: 2022م- 2023م

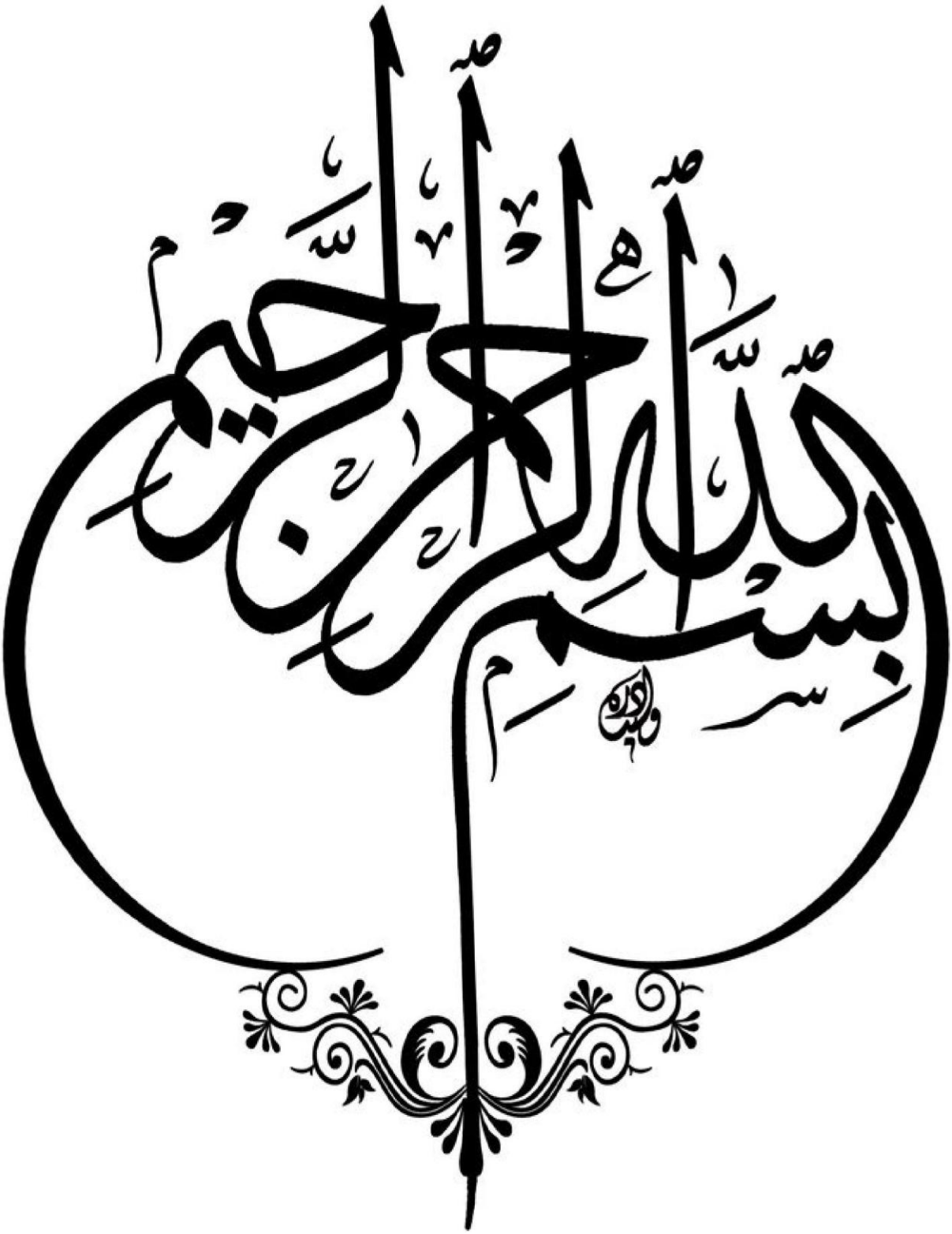
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة: الآية 11

شكر و عرفان

لابد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد ... و قبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير ، إلى الذين حملوا المحبة ، إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة ... إلى جميع أساتذتنا الأفاضل .... صدق قول :

" ..... كن عالما .. فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم " .

و أخص بالتقدير والشكر: "الدكتور أحمد امباركة" الذي نقول له بشرائ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الحوت في البحر ، و الطير في السماء ، ليصلون على معلم الناس الخير " كما أنني أتوجه بخاص الشكر إلى من علمنا التفاؤل والمضي إلى الأمام إلى من وقف إلى جانبنا عندما ضللنا الطريق الوالدين الكريمين ، و كذلك نشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث وقدم لنا العون و مد لنا يد المساعدة بالمعلومات اللازمة من قريب أو بعيد ربما دون أن يشعروا بدورهم بذلك فلهم منا كل الشكر ، أما الشكر الذي من النوع الخاص فنحن نتوجه بالشكر أيضا إلى كل من لم يقف إلى جانبنا ، و من وقف في طريقنا و عرقل مسيرة بحثنا ، فلولا وجودهم لما أحسسنا بمتعة البحث ، و لا حلاوة المنافسة الإيجابية ، ولولاهم لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه فلهم منا كل الشكر.

فما توفيقي إلا بالله و إليه أنيب.

الطالبتين :

هدلي مروة

ثابتي شريفة

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقَّة ...

وها أنا ذا أختم بحث تخرُّجي بكل همَّة ونشاط...

و أمتنُّ لكل من كان له فضل في مسيرتي ...

وساعدني ولو باليسير...

إلى خالتي حبيبتي التي علمتني الحروف منذ نعومة أظافري...

إلى والدي أطال الله عمرهما....

والأساتذة المُبجَّلين...

الطالبة :

هدلي مروة

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة، والفكر المُستنير؛

فلقد كان له الفضل الأوّل في بلوغي التعليم العالي

(والدي الحبيب)، أطال الله في عُمره.

إلى من وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني رابط الجأش،

وراعتني حتى صرت كبيرًا

(أمي الغالية)، طيَّب الله ثراها.

إلى إخوتي؛ من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب.

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي

الطالبة :

ثابتي شريفة

قائمة المختصرات:

الاختصارات باللغة العربية	الاختصارات باللغة الفرنسية
(د. ب): دون بلد	الصفحة ⟵ p
(د. د. ن): دون دار النشر	المرجع السابق الذكر ⟵ Opcit
(د. ط): دون طبعة	
(د. ج): دون جزء	
تر: ترجمة	
ج: جزء	
ص: صفحة	
ط: طبعة	
مج: مجلّد	
ع : عدد	
ب.ع : بدون عدد	

الملخص :

يعالج هذا العمل البحثي مشكلة أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة من منظور المفكر السوسيولوجي البولنديّ زيجمونت باومان" إذ أصبحت الهوية في هاته المرحلة نسيج معقد خاضع للتغير والتبدل باستمرار ما جعلها مرنة وسائلة، نتيجة التحولات التقنية التي غدت تجتاح العالم بعد أن كانت تمثل مركزا للثبات والاستقرار فوفقها يتحقق الانسجام داخل الجماعة.

وهو ما دفعنا لإعادة دراسة مكوناتها وأسسها التي تبني عليها، و قد كان الهدف وراء هذا المسعى هو إبراز مواطن تأزمها في فترة ما بعد الحداثة من منظور مترجمنا و كذا تبيان الآليات التي من خلالها تعزز الهوية بالتطرق إلى مختلف ما يمكن استغلاله في هذا المجال بغية تحقيق هذا الهدف المنشود.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، مابعد الحداثة، الهوية السائلة، ازمة الهوية.

Abstract:

This research work addresses the problem of the identity crisis in the postmodern time from the perspective of the Polish sociological thinker Zygmunt Bauman, "as identity at this stage became a complex fabric subject to change and constant change, which made it flexible and liquid, as a result of the technical transformations that have become sweeping the world after it was a center For stability, according to which harmony is achieved within the group.

This is what prompted us to re-examine its components and the foundations on which it is based. The aim behind this endeavor was to highlight the points of crisis in the postmodern period from the perspective of our translator, as well as to clarify the mechanisms through which the identity is strengthened by addressing the various things that can be exploited in this field in order to achieve This is the desired goal.

Keywords: modernity, postmodernism, liquid identity, identity crisis.

مقدمة

مقدمة:

إنّ تحرر الفكر البشري من تقاليد الكنيسة ساعد في ظهور المشروع الحداثي الغربي الذي يعطي للإنسان قيمته، ويعلي من مركزيته في الكون باعتباره قيمة جوهرية يستطيع تفسير وتحليل مختلف المشاكل التي تحيط به، فهو بذلك قادر على تدبير شؤونه، وقد جاء هذا المشروع من اجل التّخلّص من التراث الكنسي السائد في العصور الوسطى، فبينما كانت الاهتمامات منصبّة على المسائل والقضايا اللاهوتية بشكل عام أصبح مفكرو عصر النهضة أكثر اهتماما بقيمة المرء وفق مجموعة من الأسس والمبادئ التي تعطي للعقل مكانة عالية وتكفل كذلك روح الحرية لديه.

فالحداثة قد حملت في طيّاتها وعودا للمرء كفيلة بضمان أمنه واستقراره وسعادته في شتّى مجالات الحياة؛ منها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبذلك أُعيد الاعتبار للفكر العلمي، وهذه الفترة ما هي إلا فترة إعادة كشف للمنابع الفكرية، وعلى الرّغم من استطاعة هذا المشروع إنارة حياة المرء إلا أنه في مقابل ذلك خلق العديد من المشاكل التي غدت تهدّد جوهر إنسانية الإنسان، وذلك في قيمه ومشاعره ... الخ

ليظهر بذلك مفكّرون وفلاسفة في العصر المعاصر يشخّصون عيوب هذا المشروع من اجل إعادة توجيهه وتصحيح مساره على ضوء مسارات جديدة من شأنها تأسيس حقبة حداثية جديدة، وهي ما سُمّي بما بعد الحداثة أو الحداثة المتأخرة.

كان لمرحلة الحداثة وما بعد الحداثة أضرار شتّى على الإنسان المعاصر، ومن المسائل والقضايا التي شغلت اهتمام الباحثين مشكلة الهوية وخصوصياتها التي أصبح فيها الكثير من الاصطناع، بيد أنّ هذه القضية اليوم قد تطوّرت في العقدين الخيرين وبخاصة أنّ الأمر لم يعد يتعلّق بالخصوصيات التي تبتغي الانفصال والتّمايز، فمرحلة ما بعد الحداثة قد ساهمت في تأزم الهويات مع ظهور العولمة ووسائل تكنولوجيا المعلومات اللذين يمثّلان حجر الزاوية في بناء الهوية أو تطويرها في العصر المعاصر.

من الفلاسفة والمفكّرين الذين عالجوا هذه القضية نجد منهم المفكّر السوسيولوجي البولندي "زيجمونت باومان" الذي استطاع فهم الواقع المعاصر السيولي الذي طغى عليه التّغيّر والتّبدّل بصفة لا نهائية في مختلف مجالات الحياة، والذي أصبحت فيه الهوية بدورها تعاني التغيّر في عاداتها ومعتقداتها وتقاليدها نتيجة التّغيّرات التي فرضتها التّطورات المتلاحقة لتكنولوجيا الإعلام والاتّصال، والتي تعدّ أحد أهم سمات العصر الحالي، لدرجة أنها أصبحت تلقّن وتعلّم معتقدات جديدة، بل وتعمل على تنميط كل الهويات واختزالها في ثقافة واحدة.

و هكذا جاءت دراستنا الأكاديمية تحت عنوان : أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة " زيجمونت باومان – أنموذجا –"

2- الدّراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدّراسات السابقة التي تناولت دراسة "المشروع الحداثي عند زيجمونت باومان" حتى وإن اختلفت من حيث العنوان، وعليه نذكر أهمها:

*** دراسة عفاف جدراوي: "براديغم السيولة وتطبيقاته النقدية عند "زيغمونت باومان"** أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في الفلسفة، تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة (مذاهب ومناهج)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، 2020م- 2021م.

هدفت هذه الدّراسة إلى معالجة الواقع الإنساني الراهن ما آل إليه إنسان الحداثة السائلة نتيجة صيرورة النزعة الفردية وتحوّل النزعات المادية المفرطة في اللذة، التي تعزّزت مع ظهور النزعة النيوليبرالية وسيطرة المتلازمة الاستهلاكية التي أطلقت العنان للحرية الفردية في سعيها الحثيث للبحث عن المتعة الفردية وكل ما يصبّ في الأجندات الشخصية، وتوصّلت هذه الدّراسة إلى اعتبار براديغم السيولة النموذج المهيمن على الحياة اليومية في الوقت الحاضر، كي يكون أداة شاملة لتغيير ما آل إليه الوضع الراهن، وفهم النسخة الثانية

من الحداثة أو الحداثة في طورها الثاني التي تميّزت فيه بالسرعة والصيرورة الدائمة نتيجة سيادة النموذج الاستهلاكي، وركّزت هذه الدراسة أكثر على التحولات التي طغت على المجتمع المعاصر الخاضع للتّغيّر بصفة دائمة، ولم تتعمّق أكثر في دراسة مسألة الهوية التي تعدّ شرط ضروري لفهم تمظهرات الحياة الإنسانية.

*** دراسة بوصبع وليد أكرم: "من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان":**

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2021م- 2022م، قسم الفلسفة.

هدفت هذه الدراسة إلىتبيان مرحلة الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة عند "زيجمونت باومان"ن وعرض أهم القضايا المعاصرة التي أصبح بمثابة عوائق للإنسان لا تسمح له بالعيش في محيطه بشكل آمن، وسبب ذلك ناتج عن انحراف المسار الحداثي، وقد توصّلت هذه الدّراسة إلى تبيان سبب الانتقال من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة وأهم نتاجات السيولة وعواقبها على الفرد، ولم تتعمّق هذه الدراسة في دراسة أهم الركائز الإنسانية التي تعبر عن الإنسان وهويته.

*** دراسة عبدوني نور الهدى: "التعليم في عصر الحداثة السائلة زيجمونت باومان":**

مذكرة مقدّمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في الفلسفة، تخصص فلسفة عربية إسلامية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، 2021م- 2022م.

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن عيوب الحداثة الغربية من جهة، وإيجاد العلاقة بين التعليم الصلب والتعليم الالكتروني من جهة أخرى، مع الإشارة إلى التغيّرات الجذرية التي طرأت على المجتمعات المعاصرة بصفة عامة، وإلى ظاهرة التعليم بصفة خاصة في زمن السيولة، وتوصّلت هذه الدراسة إلى أنّ التعليم أصبح هو الآخر سيولي خاضع للتغيير،

فمع الحداثة السائلة انتقل التعليم من حالة الصلابة إلى حالة السيولة، وتحوّل بذلك إلى طابع سيولي بعد أن غدا إلكترونيا بدخوله العالم الافتراضي، وهكذا فإن الدّراسة ركّزت أكثر على مشكلة التعليم فقط، بينما تجاهلت الأزمة التي أصبحت تعاني من الهوية وبالتالي غياب الأمن والاستقرار الذي غدا يهدد كيان المرء ووجوده.

من خلال ما سبق، فإن دراستنا هذه الموسومة بـ:"أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة "زيجمونت باومان" أنموذجا"، تميّزت عن الدّراسات السابقة من حيث ما يلي:

– دراستنا لمسألة الهوية في زمن ما بعد الحداثي التي غفلت عن ذكرها البعض من الدراسات السابقة.

– جاءت دراستنا لإثبات أنّ الهوية في مرحلة الحداثة المتأخرة تعيش التّغيّر واللاثبات.

– محاولتنا لدراسة أغلب تصنيفاته التي عالجت مشكلة الهوية والتي تغاضت عنها البعض من الدّراسات السابقة محاولين بذلك إثبات ما جاء في إشكالية موضوعنا، وفي نفس الوقت الدّفاع عن آرائه وتصوّراته في فهم الواقع المعاش وقدرته على توعية الباحثين بهذه التغيّرات والتّحوّلات من أجل إنقاذ المجتمع المعاصر من النزعة الاستهلاكية واسترجاع إنسانية الإنسان.

3– حدود الدراسة :

إعتمدنا حدودا للدراسة انحصرت ما بين 1925م– 2017م المرتبطة من مولده و يظهر ذلك من خلال تبيان تصوراته و تحليلاته النقدية للمشروع الحداثي الغربي إلى غاية وفاته.

4- دوافع اختيار الموضوع:

- كونه موضوع يعالج الواقع الذي تعيشه المجتمعات المعاصرة اليوم، فمسألة الهوية أصبحت تعيش في هذا العصر العديد من الأزمات والتهديدات التي ينبغي على الباحثين والمفكّرين الخوض فيها والتوعية بها من اجل الحفاظ على أصالة وتميّز الجماعات لضمان الأمن والاستقرار.

- كذلك غياب وانعدام دراسات تتّسم أو تبيّن مدى أهمية مشكلة الهوية عنده.

- والسبب الأخير يكمن في إثراء المكتبة الجامعية بدراسات جديدة ذات مواضيع جديدة.

5- إشكالية البحث الرئيسية:

تناول هذا العمل البحثي والمذكّرة المقدّمة لنيل شهادة الماستر حول "أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة زيجمونت باومان أنموذجا" في توعية الفرد بما آل إليه الوضع الراهن خاصة مشكلة الهوية التي أصبحت متغيّرة وسائلة ما ساهم في تأزمها وهو ما لاحظناه من خلال كتاباته، فماهي الوقائع التي استند اليها المفكر السوسيولوجي البولندي زيجمونت باومان في تشخيصه لأزمة الهوية؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية المحورية التساؤلات الفرعية:

1- ماذا نعني بالحداثة؟ وما هي الأسس التي بنيت عليها وكيف جرى الإنتقال من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان؟ و ماهي تأثيرات هذه الحداثة (السائلة) على الحياة الإنسانية ؟

2- ماهي النماذج التي وقف عليها مترجمنا والتي عبرت بشكل صريح عن الهوية السائلة وتمظهراتها في الواقع المعاصر؟ وماهي العوامل التي ساعدت في تازمها؟

3- هل وفق باومان في تحليلاته و تصوراته عن المجتمع المعاصر ؟ ما هي الإستراتيجيات التي ينبغي على الجماعات وضعها من أجل الحفاظ على هويات و خصوصيات الأمم؟

6- خطة البحث:

بغية الإجابة على الإشكالية وعلى الأسئلة الفرعية تم تقسيم دراستنا حسب الخطة التالية:

مقدّمة عامة: أعطينا تعريفا للموضوع وكذا أهم الدوافع التي جعلتنا نقوم باختياره، ثم تطرّقنا إلى ذكر أهم المناهج العلمية التي اتبعناها في دراسة موضوعنا، مع الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتنا خلال عملنا هذا.

الفصل الأوّل: حيث تناولنا فيه المشروع الحداثي الباوماني، وشمل الجانب التعريفي اللغوي والاصطلاحي للحداثة، وعرضنا كذا أهم أسسها إلى جانب ذلك أيضا قمنا بالتعريف بـ"ما بعد الحداثة" وذكر أسباب نشأتها والأسس والمبادئ القائمة عليها، وكذلك قد اشرنا إلى نقد الحداثة عند بعض المفكّرين وعلى وجه الخصوص "زيجمونت باومان"، وأبرزنا خلالها مفهوم الحداثة الصلبة والحداثة السائلة عنده، ومنه انتقلنا لتفسير تجلّيات ما بعد الحداثة في مجال لحياة الإنسانية المعاصرة، وتناولنا بعض النماذج منها: المشاعر، الثقافة والأخلاق.

الفصل الثاني: عالجنا فيه مفهوم الهوية في معنييها الاصطلاحي واللغوي، وذكرنا انواع ووظائف الهوية والمرتكزات التي تشكّلت عليها في مرحلة ما بعد الحداثة عند بعض المفكرين المعاصرين الذين شخّصوا مكامن تأزمها، ثم استعرضنا واقع الهوية السائلة عند "زيجمونت باومان" وبعض الأسس التي بنيت عليها منها الأمن والحرية وثقافة الاستهلاك والتعليم.

الفصل الثالث: تطرّقنا فيه لتثمين المشروع الباوماني، ووقفنا على التعثرات التي وقع فيها فعلى الرغم من مساهمته في توعية وتنبيه الإنسان المعاصر بالأوضاع، إلا أنّ له نواقص تحتّم علينا بيانها وتوضيحها، كذلك أسرنا إلى سبل الحفاظ على الهوية في مرحلة ما بعد الحداثة من خلال وضع إستراتيجيات جديدة تتأقلم مع مستجدّات العصر الراهن.

7- مناهج البحث:

لقد تطلّب منا في هذه الدراسة استخدام عدّة مناهج منها:

1- المنهج التاريخي: الذي حاولنا من خلاله الإطّلاع على الصيرورة التاريخية للحداثة وما بعد الحداثة، وكذلك التّطرّق إلى العوامل التي كان لها الأثر في بروز أزمة الهوية.

2- المنهج التحليلي: قمنا بتحليل واستنطاق أهم أفكار ونصوص "زيجمونت باومان".

3- المنهج النقدي: بهدف نقد افكار مترجمنا وإصدار الحكم عليها وبيان النواقص التي وقع فيها.

8- صعوبات البحث:

تمثّلت الصعوبات التي واجهتنا في عملنا هذا فيما يلي:

- قلّة المراجع والدّراسات التي تناولت هذا الموضوع باعتباره موضوع جديد لا يزال محطّة بحث للباحثين الأكاديميين؛

- إنّ قضية الهوية لم يشر إليها المفكّر السوسيولوجي "زيجمونت باومان" بصفة واضحة ومباشرة في مؤلفاته، ما حتّم علينا الوقوف وإعادة دراسة وتحليل معمّق لآرائه وتصوّراته التي تناولت هذه المشكلة؛

- قلّة الدّراسات العربية التي تهتم بمسألة الهوية وتأزمها في مرحلة ما بعد الحداثة؛

- عدم وفرة الترجمات بالكمية الكافية.

الفصل الأوّل:

المشروع الحداثي الباوماني

المبحث الأوّل: الحداثة وما بعد الحداثة، النّشأة، المبادئ والتّوجّهات العامّة

I- مفهوم الحداثة:

1- لغة:

يعدّ مصطلح Modern بصورته اللاتينيّة من الناحية التاريخية أنه قد استخدم أوّل مرّة في أواخر القرن الخامس لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا على المستوى الرّسمي عن الماضي الروماني الوثني، إذ هو كمصطلح يعبّر عن الوعي بحقبة تتّصل بالماضي ويعدّ نتيجة للانتقال من القديم إلى الجديد.[1]

مع تعدّد مدلولات هذا المفهوم نجد أنه قد ورد في لسان العرب لابن منظور أنّ الحداثة كلمة مشتقّة " **من حدث والحديث نقيض القديم، والحدث نقيض القدمة، وحدث الشّيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه والحدوث كون الشّيء لم يكن وأحدثه الله فحدث، أمر أي وقع** ".[2]

ليس ذلك فقط، بل وتعتبر الحداثة لفظة مشتقّة من "**حدث حدوثا وحداثة: نقيض قدم، وتضم داله إذا ذكر مع قدم وحدثان الأمر بكسر الحاء أوله وابتداؤه كحداثته**".[3]

فضلا عن ذلك، نجد في المعجم الفلسفي لـ "جميل صليبا" أنّ مصطلح "حديث" (Modern) نقيض القديم ويرادفه الجديد ويطلق على الصّفات التي تتضمّن معنى المدح والذّم، والحديث الذي يتضمّن معنى المدح صفة الرّجل المتفتّح الذّهن الذي يدرك ما يتوافق مع عصره من طرق وآراء ومذاهب، في حين الحدث المذموم هو ما يتضمّن معنى الذّم صفة الرّجل قليل الخبرة السّريع التأثّر والمقبل على الأغراض التّافهة، والفرق بين كل من

---

[1] – بيتر بروكر، **الحداثة وما بعد الحداثة**، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1995م، ص 199.

[2] – ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.س، ص 796.

[3] – الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص 336.

القديم والحديث هو أنّ الحديث يتمسّك بالأصالة والعراقة والقوّة، أما القديم فهو ترك ما لا يتوافق مع عصره.[1]

علاوة على ذلك، تدلّ لفظة الحداثة الغربيّة La modernité على أنها: "**مشتقّة من الجذر Mode وهي الصّيغة أو الشّكل أو ما يبتدئ به الشّيء أو اللقطة بالعربيّة، يرتبط بما له أكثر من دلالة كما يقع إنه ما يحدث، فليس الشّكل هو المهم ليس الصورة التي تبرز فإن ما يحدث يتشبّث أساسها بواقعيّته وراهنيّته**".[2]

الحديث بالمعنى التّقني يتعارض مع الوسيط حيث يشير إلى الاستعمالات الرّئيسيّة لكلمة حديث، ويفرّق بالنسبة إلى الاستعمال الرّاهن من جهة بين الحداثة الصّحيحة (تتوافق مع التّشكيلات الفكريّة الحقيقيّة)، ومن جهة أخرى حداثة سطحيّة تقوم على جهل التراث وحب الجديد مهما كان.[3]

ضف إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ الحداثة تعني الابتداء، وتعتبر نقيضا للقدم والخروج من العدم إلى الوجود والحدوث الذّاتي عند الحكماء كون الشّيء مفتقرا في وجوده إلى الغير، وعند أهل العربيّة الحدث متجدّد لصاحبه في زمن معيّن.[4]

من هذا المنطلق يتبيّن لنا بأنّ مصطلح الحداثة كان يشير إلى معنى التحديث في البداية، ثم تطوّر ليدل على تحقيق زمني يفصل بين العصور القديمة والعصور الحديثة وبهذا يصبح هذا المفهوم يقوم على أساسيّات مختلفة تدعو إلى التّفتّح على الفكر التّجدّدي والتّحرّر من كل تقليد، وقد استخدم "هيجل" مفهوم الحداثة في سياق تاريخي ليشير إلى عصره "الأزمنة الجديدة"، أو "الأزمنة الحديثة"، ويقابلها بالإنجليزيّة والفرنسيّة في حوالي عام 1800م ألفاظ "Modern time" أو "Temp modern"، وتشير إلى القرون الثّلاثة السّابقة

[1] – جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج 01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص 454– 455.

[2] – مطاع صفدي، **نقد العقل الغربي الحداثة وما بعد الحداثة**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، 1990م، ص223.

[3] – أندري لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، مج1، ط 2، 2001م، ص 822.

[4] – بطرس البستاني، **محيط المحيط**، (قاموس مطوّل للغة العربية)، مكتبة لبنان، د.ط، د.س، ص 153.

اكتشاف "العالم الجديد" أو عصر النّهضة والإصلاح، هذه الأحداث الثّلاثة الهامّة ساهمت بشكل كبير في تشكيل العتبة التاريخيّة بين العصور الوسطى والأزمنة الحديثة[1]، وبهذا تصبح الحداثة تشير إلى تلك الظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة التي برزت من خلال عمليّات تاريخيّة كان لها الأثر الكبير في ظهورها.

2- اصطلاحا:

تجدر الإشارة في البداية إلى أنّ هناك صعوبة في تطويق المعنى الاصطلاحي للحداثة، حيث اختلف المفكّرون في ضبط مدلولها، إذ يعرّفها "هشام صالح" في كتابه "مدخل إلى التّنوير الاصطلاحي"، أما كلمة حداثة Modernité لم تشتقّ إلا في القرن التّاسع عشر وفي عام 1849 تحديدا، إذ يعتقد أنّ الشّاعر "بودلير (baudelair) هو أوّل من استخدمها، وقد اعتبرت وقتها شاذة وقبيحة من قبل الجمهور، ذلك قبل أن تنتشر وتلقى النجاح الذي لقيته فيما بعد وهو ما يحصل عادة للكلمات الجديدة قبل أن يتعوّد عليها النّاس، فقد تنجح وتسود، وقد تفشل وتموت في أرضها[2]، وهنا يتجلّى بوضوح أنّ ظهور كلمة الحداثة لم تلقى رواجا واسعا في البداية إلى أن أصبحت متداولة بين الأفراد في مختلف ميادين الحياة البشريّة، فنجاح الكلمة أو موتها يتوقّف على نمو الوعي عند النّاس، وفضلا عن ذلك يعتبر"هابرماس"* (Yurgen Habermas) التحديث "**هو جملة من سيرورات تراكميّة يشدّ بعضها بعضا، فهو يعني بناء تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال، ونمو القوى الإنتاجيّة وزيادة إنتاجيّته العمل كما يشير إلى إنشاء سلطات السّياسة المركزيّة، وتشكّل هويّات قوميّة، ويشير أيضا إلى نشر حقوق المشاركة السياسية وأشكال العيش**

---

[1] – يورغن هابرماس، **القول الفلسفي للحداثة**، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، د.ط، 1995م، ص 13.

[2] – هاشم صالح، **مدخل إلى التّنوير الأوروبي**، دار الطّليعة، ط 1، بيروت، 2005م، ص 241.

*– يورغن هابرماس: (jurgen Habermas) (1992م)، فيلسوف وعالم اجتماع ومفكر سياسي، له أزيد من خمسين مؤلّف، صاحب نظرية الفعل التواصلي، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج 07، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ط، بيروت، 1994م، ص 12- 13*.

المدني والتعليم العام، وآخر يشير إلى علمنة القيم والمعايير"[1]، معنى هذا أنّ التحديث حسبه يمس مختلف القطاعات منها الاقتصاديّة التي ترمي إلى تطوير القدرات الإنتاجيّة لتحقيق الرفاهيّة والسّياسة التي تسعى لإقامة سلطة سياسيّة تحافظ على استقرار الدّولة، وكذا تشكيل هويّات قوميّة واجتماعيّة تحقّق الحياة المدنيّة للفرد من خلال توفير تكوينات سواء في التّعليم أو القيم.

بالإضافة إلى ذلك، الحداثة حسب دليل " أكسفورد ": " **تشير إلى واقعة أو حادثة، مثال الإضراب الكبير وغرق السّفينة تايتانيك، وصول الضّيوف، المزاد الخيري المحلّي وليس من الضّروري أن يكون الحدث على درجة من الخطورة، فيكون مثلا سقوط عصفور حدث بقدر ما يعد سقوط الإمبراطورية الرّومانيّة حدث**"[2]، وفي تعريف آخر يذكر آلان تورين* (Alin Tourin): "**إنها انتشار لمنتجات النشاط العقلي، العلمية، التكنولوجية والإداريّة، فهي تتضمن عملية التميّز المتناهي لعديد من قطاعات الحياة الاجتماعيّة، السياسية والاقتصادية والحياة العائلية والدين والفن على وجه الخصوص**"، حيث تدل الحداثة هنا على الدور البارز والعقل المتنامي الذي استطاع تحقيق التطوّر في مختلف الجوانب الحياتيّة للإنسان، منها السياسية والاقتصادية والثقافية.[3]

ضف إلى ذلك، ورد مفهوم الحداثة في سياق آخر وهو أنّ الحداثة تعني ذلك التغيّر الحضاري الذي يفصل بين القديم والحديد والذي بدوره يؤسس لمختلف التصوّرات في جميع الميادين المرتبطة بمعقولية جديدة تتحكّم فيها.[4]

---

[1] – يورغن هابرماس، **القول الفلسفي للحداثة**، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارد الثقافة، سوريا، 1995م، ص 09.

[2] – تدهودرنتش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، تر: نجيب الحصادي، ج1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ص 174.

* – آلان تورين(Alin Tourin) (1925)، عالم اجتماع فرنسي، ومن بين مؤلفاته نقد الحداثة Critique de la modernité.

[3] – آلان تورين، **نقد الحداثة**، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1997م، ص 29.

[4] – فتحي التريكي، رشيدة التريكي: **فلسفة الحداثة**، مركز الإنماء القومي، د ط، بيروت، لبنان، 1992م، ص 14.

فضلا عن ذلك تعبّر الحداثة عن التحوّل الحضاري الذي استطاع العقل من خلاله التّحرّر من تقاليد الكنيسة، وهنا أعطت الحداثة الأولويّة للفكر العلمي الذي أدخل أوروبا في العصور الحديثة، وكانت الحداثة بمختلف ميادينها.[1]

فضلا عمّا سبق، الحداثة هي "**ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميّز بدرجة معيّنة من التقنية والعقلانية والتعدّد والتّفتّح، والحداثة كونيا هي ظهور المجتمع البورجوازي الغربي الحديث الغربي الحديث في إطار ما يسمّى بالنهضة الغربية أو الأوروبيّة، هذه النّهضة التي جعلت المجتمعات المتطوّرة صناعيا تحقق مستوى عالمي من التّطوّر مكّنها ودفعها إلى غرور وترويض المجتمعات الأخرى**"[2]، معنى هذا أنّ للنّهضة دور بارز في قيام المجتمعات المتطوّرة التي أعطت قيمة للعقل والعلم الذي مكّنها فيما بعد من الهيمنة والسّيطرة على مجتمعات أخرى.

ومما سبق ذكره، نستنتج أنه قد اختلفت وتنوّعت وتباينت دلالات مصطلح الحداثة فبعد أن قمنا باستعراض مختلف التعاريف وجدنا أنّ كل مصطلح ينفرد عن غيره، لقد عرف المجتمع الغربي الحداثة في القرن التاسع عشر بعد أن قطع الصّلة بكل ما هو لاعقلاني لاعلمي، وهو بمثابة قطيعة مع تقاليد الكنيسة أين بدأ العقل يتحرّر من ذلك الفكر الرّجعي لينتقل إلى عصر الأنوار الذي يعلي من قيمة العقل والعلم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعرفية والأخلاقيّة.

II- أسس الحداثة الغربيّة:

إنّ تحرّر الفكر من سلطة الكنيسة ساهم بشكل كبير في ظهور الحداثة في المجتمع الغربي وذلك في القرن السابع عشر، حيث صار كل شيء يخضع للمحاكمة العقلية في جميع المجالات الاقتصاديّة، الاجتماعيّة، السياسيّة، المعرفيّة والأخلاقيّة، ولا يمكن اعتبار

[1] – علا عزمي الشربيني المرسى ماضي، **القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة**، مجلية كلية التربية، المنصورة، مج 109، ع 01، ص 366.

[2] – محمد سبيلا، **مدارات الحداثة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2009م، ص 123.

المشروع الحداثي مجرّد تراكم للفلسفات المختلفة، بل يعدّ مدرسة فلسفيّة ترتكز على مبادئ نعرضها كالآتي:

1- العقلانيّة:

تولي الحداثة الأولوية للعقل، فهو مصدر الحقيقة لفهم الواقع الخارجي، وقد عرفت الحداثة بهذا المبدأ كونه الملكة التي يدور فيها الخطاب الحداثي، وبذلك صار العقل المبدع والمتحكّم في مختلف الميادين، فهو الوحيد الذي يبرر وجود الأشياء ويعلّلها ويستبعد كلما هو غير معقول، وهو ما نجده في كتاب "بوزبرة عبد السلام" "طه عبد الرحمن ونقد الحداثة"*: " **فالعقلانيّة هي مفتاح وروح الإنسان الحديث بعد سيادة الفوضى وترك العالم عرضة للصدف والهوى والخرافة، كما كان عليه الحال في العصور الوسطى** "[1]، معنى هذا انه قد أعيد الاعتبار للعقل فأصبح مبدأ لكل نشاط علمي ومعرفي على حدّ السواء، ما جعل الحداثة تخضع كل المسلّمات والمعلومات في مجال العلم والأخلاق والدّين للعقل، فمثلا في السّابق يردّون خسوف القمر إلى أسباب ميتافيزيقيّة غيبيّة إلى أن تبيّن فيما بعد أنّ هناك عوامل ماديّة طبيعيّة يرجع إليها.[2]

ضف إلى ذلك، تربط فكرة الحداثة ارتباطا وثيقا بالعقلنة ولا يقتصر دور العقل في توجيه النّشاط العلمي والتّقني فحسب، إذ يعدّ موجه حكم البشر وحتى إرادة الأشياء، فهو يخدم مصلحة الأفراد ويمثّل في حين آخر سلاحا نقديا من كل أشكال السّلطة والضّرورة التاريخيّة من مهّدت لانتظاره.[3]

---

* – **العقلانيّة (Hotionolisme): تعني أنّ لكل موجود علّة في وجوده، إذ لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجع معقول، وهي أيضا الإيمان بالعقل وقدرته على إدراك الحقيقة الدينيّة **، ينظر : جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص 90- 91.

[1] – بوزبرة عبد السلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، جداول للمشر والتوزيع، ط1، الكويت، 2011م، ص 43.

[2] – صدر الدين القبانجي، **الإسلام وإشكاليات الحداثة**، وحدة الدراسات والبحوث، ط1، 1430م، ص 36.

[3] – آلان تورين، **نقد الحداثة**، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1997م، ص 29- 30.

يرجع ظهور مفهوم العقلانية إلى "ديكارت"* الذي اعتبر العقل مرجعيّة معرفيّة وجوهرا مفكّرا قادر على بلوغ الحقيقة بمفرده وبمعزل عن أي سند ما ورائي غيبي[1]، ويعدّ الفيلسوف "لايبنيتز"(Gottfried Wilhelm leibniz)* أوّل من أسّس الحداثة الفلسفيّة على مبدأ العقلانيّة الذي يرمي إلى أنّ الإنسان قد تحوّل من متأمّل للكون إلى مكتشف عن بواطنه، يبحث عن الأسباب المعقولة للأشياء، ما فتح أمام الفرد أبواب العلم الحديث الذي يحتكم إلى الاستنتاج العقلي والمنطقي، والعقلانيّة مذهب فكري يتّخذ من العقل المصدر الوحيد لبلوغ المعرفة الصّحيحة.[2]

فمثلا عن ذلك رأى "هيجل"* أنّ الإنسان الحديث ينبغي عليه إعادة النّظر في الآفاق وفي نفسه ليزيل غربة الذّات عن الطّبيعة، ففي كتابه "فينومينولوجيا الرّوح" يخصّ بالعقل تشكّل الوعي الحديث، فهو في نظره ينصب رايته على كل القمم، وفي كل الهاويات علامة على سيادته"، فتحرّر الإنسان من سطوة الكنيسة وتخلّصه من ذلك الفكر الرّجعي وإعادة النّظر في جمع الأشياء مكّنه من أن يبسط سلطته عليها[3]، وتتجلّى هذه العقلنة في مختلف أنماط الحياة نذكر منها:

---

* – **ديكارت (René Descartes) (1596– 1650)، فيلسوف وعالم رياضي فرنسي، ويعتبر أو الفلسفة الحديثة، ينظر: زكي نجيب محمود، رقمنة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والشرط، د ط، القاهرة، 1936، ص 94**.

[1] – أحمد عبد الحي، **التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الورّاق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2013م، ص35.

* – ** لايبنتز (Gottfried Wilhelm leibniz) (1646م– 1716م): فيلسوف وعالم ألماني عظيم، مؤسس علم التفاضل والتكامل الرياضي بشكل مستقل عن إسحاق نيوتن، من أهم مؤلّفاته: المونادولوجيا 1714م، مقالة في الميتافيزيقا 1986م، ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984م، ص 339**.

[2] – محمد الشيخ، ياسر الطائري، **مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة (حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر)**، دار الطّليعة للطباعة ولنشر، بيروت، ص 13.

* – ** جورج فيلهلم فريدريش هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (1770م– 1831م): من أبرز فلاسفة الألمان، يعدّ من مؤسّسي المثاليّة الألمانيّة في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر، قام بتطوير المنهج الحركي الذي أكّد من خلاله أنّ سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ومن ثم التّأليف بينها**.

[3] – نقلا عن محمد الشيخ، **فلسفة الحداثة في فكر هيغل**، دار الشبكة للأبحاث والنشر، ط1، لبنان، 2008م، ص25.

1-1- عقلنة الفكر العلمي:

من خلال الرّجوع إلى العقل والتّخلّص من الجهل والتّبعيّة الذي نشرته الكنيسة، ومن الفلاسفة الذين اتّخذوا على عاتقهم مهمة دراسة وتحليل ونقد هذا الإرث الفكري الخاص بالذّكر "غاليلي غاليلي"* (Galili Galilio) الذي أعطى أوّل نظريّة علميّة قوبلت بالرّفض من طرف رجال الدّين و"ديكارت" الذي كان رجلا دينيا استطاع وضع النّموذج الرّياضي حيث اعتمد على العقل البرهاني والتّجريب في العلم، واستبعد كل ما لا يخضع للبرهان، فهو قد رفع العقل إلى مقام المطلق.

1-2- عقلنة الفكر السياسي:

بدأت هذه العقلنة مع "ميكيافلي"* (Niccolo bernardo dei machiavell) في القرن الخامس عشر، حيث صار التّنظير السياسي يقوم على العقل مستقلا بذلك عن الفكر الميتافيزيقي، إذ أنّنا نجد الظّاهرة السياسية قد أصبحت تعالج كشيء في الواقع ينبغي تحليله بصياغة قواعد عامّة تسهل بدورها الممارسة السياسية بعيدا عن الاعتقاد الديني والخيال الفلسفي.[1]

1-3- عقلنة القول التاريخي:

تنطلق هذه العقلنة من فكرة مفادها إعادة قراءة التاريخ العالمي قراءة جديدة متحرّرة من سيطرة التقاليد عموما بالرّجوع إلى التراث اليوناني والكشف عن معطياته المتنوّعة وتوجيهه نحو إرادة المستقبل، ما يستدعي تمحيص وتقصّي الماضي الذي يمكّننا من فهم الحاضر والعمل على تغييره وإصلاحه.

---

* - **غاليلي غاليليو (Galili Galilio) (1546م- 1642م): فيلسوف وفيزيائي إيطالي قام بنشر نظرية مركزية الشمس التي تعود لكوبر نيكوس ودافع عنها، أثبت فساد نظرية أرسطو للحركة**.

* - ** نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلي (Niccolo bernardo dei machiavell) (1527م – 1469م) : فيلسوف وسياسي إيطالي، مؤسس التنظير السياسي، له أشهر كتاب المعنون بالأمير، وصاحب مقولة " **الغاية تبرر الوسيلة** " **.

[1] – فتحي التريكي، رشيدة التركي، **فلسفة الحداثة**، مركز الإنماء القومي، د.ط، بيروت، لبنان، ص 29- 30.

1-4- عقلنة القول الدّيني:

تؤكّد هذه العقلنة على إعمال العقل في فهم وتفسير النّص الدّيني مع متطلّبات العصر، إذ ظهرت هذه المحاولة مع فلاسفة عصر النّهضة؛ نذكر منهم: "توماس مور"* الذي قام بتأويل النّص المقدّس تأويلا عقليا يختلف عن التفسير التقليدي النقلي، ما أدّى به إلى الإعدام، وعليه تعطي هذه العقلنة الأولوية للعقل في المجال الدّيني في مختلف مستوياته لإصلاحه وتخليصه من الغطرسة والشّعوذة.[1]

2- الذّاتيّة:

ترتكز الحداثة بدورها على مبدأ الذّاتيّة الذي يعلي من قيمة الإنسان الذي أصبح المحور الأساسي الذي يغطي القيمة للأشياء من حوله، ويطلق كذلك على هذا المبدأ بالفردانية ما يعني مركزيّة ومرجعيّة الذّات الإنسانيّة وفاعليتها وحريّتها، حيث صار الفرد ذا طبيعة حرّة وعاقلة تتحكّم في مختلف الأشياء، وهو ما يعبّر عنه "هابرماس" (yurgen Habermas) بقوله: " **أنّ هذا المبدأ له انعكاسات، ومن هذه الانعكاسات هي نظريّة الفردانيّة، ونظريّة حق النّقد إلى ما نهاية** "، بمعنى أنّ الفرد هو مقياس الحقيقة، فما يخضع للتجربة والتّحليل فهو صحيح، وما عدا ذلك فهو غير واقعي، إذ إنّ كل شيء قابل للنقد والفحص بما في ذلك الدين ولا وجود لشيء مقدّس وبهذا أعاد للفرد قيمته وثقته وإيمانه بفكره واستقلّ عن الإله في وضع أحكامه.[2]

فضلا عن ذلك، يشكّل مفهوم الذّاتيّة القاعدة الأساسيّة للحداثة الغربيّة يعبّر "ڤيتو" في هذا الشّأن "**الحداثة هي أولويّة الذّات، انتصار الذّات ورؤية ذاتيّة العالم**"، بمعنى أنّ الإنسان الحديث أصبح قادرا على إدراك نفسه والوعي بها بعد أن كان في العصور الوسطى

* – ** توماس مور (Thomas More) (1479م– 1535م)، كاتب وفيلسوف سياسي انجليزي**.

[1] – فتحي التركي، رشيدة التركي، **فلسفة الحداثة**، المرجع السابق، ص 31.

[2] – صدر الدين القبانجي، **الإسلام وإشكاليات الحداثة**، المرجع السابق، ص 35.

رجل الدين يحجب عنه هذه الرّؤية وهو ما يسمّيه "مارتن هيدغر"[1] (martin heidegger) بعصر انبثاق تصوّرات الإنسان للعالم[2]، إذ صار الفرد يمتلك السلطة ومقاليد الحكم كونه مقر ومرجع الحقيقة واليقين، فوعي الإنسان بذاته هو أساس كل فكر، وانطلاقا من الوعي يستطيع فهم مختلف ظواهر العالم الخارجي كما يمكنه تحديد الوجود الفعلي للأشياء، ما يجعل الإنسان كائن واعٍ مستقل ومسؤول ومالك للحقيقة في جميع ميادين الحياة سواء باستيعاب معطيات الماضي وتحليلها ومناقشتها أو بالتأقلم مع معطيات الحاضر والتّهيؤ لاستقبال التّطوّرات الجديدة.

فضلا عمّا سبق، تظهر ملامح قيام الحداثة على الذّاتيّة في أعمال "رنيه ديكارت" (René Descartes)الذي وجه الفلسفة على الذات، فهو قد تصوّر الإنسان بما هو أنا وأناط بها فأصبح الإنسان جوهر صفته الفكر، ومع "الكوجيتو الديكارتي"*، أصبحت الذّات المفكّر المرجع الوحيد لكل حقيقة[3]، صار العقل منحازا إلى الذّات حتى يستمدّ منها اليقين والذّاتيّة ملازمة للإرادة والرّغبة في معرفة الشّيء، ما يعني اقتحام مختلف الميادين وكل تمظهرات الحياة على حدّ السّواء.

---

[1] – ** مارتن هيدغر(martin heidegger) (1889م–1976م) فيلسوف ألماني، وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات.

** الوجود والتقنية والحرية وغيرها، من أهم مؤلفاته : " الوجود والزمان" ، "دروب موصدة"، " ما الذي يسمى فكرا" **.

[2] – محمد الشيخ ياسر الطائري، **مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة**، المرجع السابق، ص 14– 13.

[*] – **الكوجيتو الديكارتي: يقوم على أساليب الشّك، حيث قام ديكارت بإرجاع كل معارفه السابقة وحتى اليقينيّة إلى الشّك، ومن ثمّ فحصها تحت حكم العقل، والذي يقوم على أربعة قواعد هي: قاعدة البداهة والوضوح ، قاعدة التحليل ، قاعدة التّركيب ، قاعدة الإحصاء، ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 01، بيروت، 1984م، ص 292–293**.

[3] – بوزبرة عبد السلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، المرجع السابق، ص 48.

حينما نركّز في مرتكزات الحداثة عند كل من "كانط"[*](Immanuel Kant) و"هيجل" نجد أنّ نشاط الذّاتيّة تفهم دلالتها في مقولة "سارتر"[*] (Jean- Paul Sarter) أنّ الإنسان يردّ دائما العالم إلى ذاته، أي أنّ مقولات العقل الدّيكارتيّة هي المبدأ الذّاتي للتّفكير بعيدا عن أشكال التّحاكم الدّينيّة، لأن الحداثة هي سلطة الذّات، فهي المبدأ أو المنتهى وإليها يؤول كلّ شيء.[1]

وبذلك صار الفكر مستقلا قائما بذاته رافضا بذلك لكل مسبق مسلّم به، وبدءا من عصر الحداثة استطاع المفكر أن يفكّر من خلال ضمير المتكلّم "أنا" هذه الأنا التي كانت في القديم نكرة منغمسة في المجتمع، وهكذا اعتنت الحداثة بمبدأ الأنا مقابل مبدأ "نحن" وبمبدأ الفرد ضدّ مبدأ الجماعة[2]، ومجملا تغيّرت نظرة الإنسان إلى نفسه كذات واعية ومستقلّة باعتبارها مصدر الحقيقة واليقين حيث سعى الفكر الغربي من التّخلّص من الفكر الخرافي وتقاليد المجتمع، واستطاع الفرد أن يحدّد مصيره ويغيّر عوالمه.

---

[*] – [**] إيمانويل كانط (Immanuel Kant) (1724م– 1804م): فيلسوف ألماني، كان آخر الفلاسفة المؤثّرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، يعدّ من أبرز الفلاسفة الذين كتبوا في نظريّة المعرفة الكلاسيكيّة، من فلاسفة عصر التنوير، من أهم أعماله: نقد العقل المجرّد، نقد العقل العلمي، نقد العقل العميل، نقد ملكة الحكم، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ... [**]

[*] – [**]جان بول شارلز إيمارد سارتر (Jean– Paul Sarter) (1905م– 1980م)، فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي، كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي، عرف بفلسفة الوجوديّة، من أهم مؤلّفاته: الوجود والعدم (1943م)ن الوجودية مذهب إنساني (1945م) ... الخ[**].

[1] – شعوفي قويدر، **تأملات في الحداثة بين إيمانويل كانط وفريديريك هيجل**، مخبر الفلسفة وتاريخها، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 07، جوان 2018م، ص 03.

[2] – محمد الشيخ، **فلسفة الحداثة في فكر هيجل**، المرجع السابق، ص 26.

3- الحريّة:

تمثّل الأرضيّة الصّلبة التي انطلق منها المشروع الحداثي، إذ جعلت الإرادة البشريّة أساس بناء المجتمع والدّولة الحديثة، والحرّيّة* في الفكر الحداثي تمثّل جوهر الفرد وغاية وجوده، ويعدّ فلاسفة الحداثة وروّادها بدءً من "ديكارت" عندما ربط الفكر بالإرادة ثم مع "لايبنتز" (Gothfried wilhelm leibniz) الذي عمّم مبدأ الإرادة على كلّ كائن مريدا، وكذا "كانط" (Immanual kant) الذي جعل من الإنسان كائنا حرّا بامتياز، له قدرة على التّشريع وفق عقله دون معونة لأي عون خارجي[1]، حيث شكّلت هذه الأفكار وغيرها البذور الأولى لنشأة الفكر الحداثي في الغرب والذي اعتبرت فيه الحرّيّة صلبه ونواته، ما ساهم في نشأة المجتمع الغربي الذي يضمّ الدّولة المنسجمة المعقولة التي يعيش فيها الأفراد أحرارا، يحكمها دستور وليس التّفويض الإلهي.

وقد مثّلت الحرّية كذلك المعلّم الذي يكشف المشروع السياسي والاقتصادي في العصر الحديث، والذي يشكّل الخلفيّة الفكريّة التي انطلق منها مفكرو عصر النّهضة والأنوار، إذ أصبحت الحرّية منذ ذلك الحين الأساس الذي تقوم عليه كلّ التّصوّرات من أجل قيام مجتمع سياسي ديمقراطي، بالإضافة إلى ذلك، تعتبر الحرّية القيمة التي تحقّق للإنسان الحداثي القدرة على الإبداع والتّطوّر وتؤكّد على حقّه في تقرير مصيره ومختلف شؤونه المدنيّة العامّة دون تقييد، فلا سلطة على العقل في المجتمع الحداثي إلا العقل نفسه[2]، ولعلّ أبرز مظهر تجلّت فيه الحرّية كمبدأ للحداثة هو المجال السّياسي وذلك في الفعل الدّيمقراطي الذي تجسّد بدوره في مختلف مفاصل المجتمع، ويرتبط هذا النّظام ارتباطا وثيقا بالحرّية من خلال وعي المواطنين بضرورة وضع مطلب يدعم الحرّيات الإنسانيّة باعتبار أنّ الدّيمقراطيّة

---

* – ** الحرّية: تدل على زوال الحدود والقيود المفروضة على الفرد، حتى يصبح قادرا على فعل ما يريد وفق عبارة إما أن يفعل أو لا يفعل، ينظر: طوني وآخرون، **مفاتيح اصطلاحيّة جديدة (معجم مصطلحات الثّقافة والمجتمع)**، تر: سعيد الغانمي، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ط 01، بيروت، 2010م، ص **291.

[1] – بوزيرة عبد السلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، المرجع السابق، ص 50– 51.

[2] – عبد المنعم شيخة، **قراءة في انهيار مشروع الحداثة العربي**، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود، د.ع، 2015م، ص 05.

تقرّ بسيادة الأغلبيّة وتقرّ بالتّعدّديّة، ما جعلها تتّخذ من الحرّية غاية في ذاتها تكرّس من خلالها الاستقرار والتّضامن، وهي هنا عامل ضروري لتصوّر الفعل التّواصلي.[1]

ضف إلى ذلك امتداد أساس الحرّية إلى الشّأن الاقتصادي عبر الليبراليّة*، إذ نجدها تولي الحرّية المرتبة الرّئيسيّة باعتبارها قاعدة تحقّق للأفراد سعادتهم وكمالهم، وفي مرحلتها المتأخّرة برزت الرّأسماليّة* التي تعتبر الحرّية من المسلّمات الأولى للنّظام الاقتصادي والذي يؤكّد على ضرورة الحدّ من تدخّل الدّولة في النّشاط الاقتصادي استنادا للمبدأ القائل "**دعه يعمل دعه يمر**"، أي يجب ترك الأفراد أحرارا ويتنافسون غير مقيّدين بقوانين الدّولة.[2]

إذن، فالحريّة تقوم على الاعتراف بالآخر كإرادة حرّة تتأسس على الاختلاف والتّواصل وهي بالتعبير السياسي والاجتماعي تمثّل الفضاء الذي يتحقّق في إطاره التّفاهم والاعتبار المتبادل، والذي بدوره يقوّي الثّقة بين الحاكم والمحكوم، ما يساهم في القضاء على كل أشكال الظّلم والاستبداد، وما ينتج عن ذلك من إبداع وتطوّر في مختلف الميادين الاجتماعيّة والسياسية والأخلاقيّة، وغيابها يؤدّي إلى مجتمعات عنوانها الدّيكتاتوريّة.

---

[1] – بوزبرة عبد السّلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، المرجع السابق، ص 53.

* – **الليبراليّة (Libéralisme): تعود جذورها إلى بدايات القرن التاسع عشر، تضمّنت العديد من الدّلالات منها تساوي اللّفظ اللّيبرالي بالحرية من القيود، ومذهب اللّيبراليّة أو الحرّية هو مذهب متعدّد المجالات، ومن بين هذه المجالات المذهب الاقتصادي (Libéralisme économique)، الذي يقرّ على تخلّي الدّولة عن ممارسة الأعمال التّجاريّة والتّدخّل في العلاقات الاقتصاديّة بين الأفراد، ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، 465 **.

* – **الرّأسماليّة (Le capitalisme): عبارة عن نظام اقتصادي اجتماعي جاء ضدّ النّظام الإقطاعي، يقوم على الملكيّة الخاصّة لوسائل الإنتاج وعن استغلال العمل المأجور واستخلاص فائض القيمة، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 02، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، (د ط)، بيروت، 1994، ص 788**.

[2] – بوزبرة عبد السّلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، مرجع سابق، ص 53– 54.

III- أزمة الحداثة وظهورها ما بعد الحداثة:

1- مفهوم ما بعد الحداثة:

يعاني مصطلح ما بعد الحداثة صعوبة في تحديده؛ نظرا للغموض الذي يشوبه كونه من المفاهيم التي ترفض الأطر المحدّدة، إلا أنّنا نجد العديد من المفاهيم التي طرحت في هذا المجال وهي بمثابة محاولات قام المفكّرون بصياغتها نعرضها كالآتي:[1]

- نجد الفيلسوف الإيطالي "جيانتي غاتيمو"* (Gianteresio Vattimo) قد طرح هذا المصطلح في كتابه "نهاية الحداثة"، حيث قام بالكشف عن دلالة المقطع الأوّل من المصطلح، أي ما بعد Post؛ والتي تعني تجاوز الماضي والسّعي نحو المستقبل، عكس ما قامت عليه الحداثة التي تهدف إلى تجاوز الماضي.[2]

- يزعم "تيري إيجلتون"* (Terry Egelton) أنّ كلمة ما بعد الحداثة تشير عموما "**إلى نوع من الثّقافة المعاصرة**"[3]، ما يعني اتّجاه العالم نحو التّقدّم والتّطوّر في مختلف الميادين الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة ... الخ، والتّحرّر من أجل الأفكار التّقليديّة، وتصبح بذلك تيّارا فكريا متجدّدا يرمي إلى إعادة اكتشاف مبادئ الفكر أو الممارسة.

- في حين تعرّفها الموسوعة الأنثروبولوجية بأنها تمثّل حركة انتقاليّة تسعى للقضاء على تقاليد الفكر الحداثي في مجال الفن والجمال والفلسفة.[4]

---

[1] - محمد محمد سكران، **التربية والثقافة فيما بعد الحداثة**، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط 01، القاهرة، 2006، ص 54.

* - **جياني غاتيمو، جيا نتيريزو غاتيمو (Gianteresio Vattimo) (1936م): فيلسوف وسياسي إيطالي، صاحب كتاب: نهاية الحداثة**.

[2] - نك كاي، **ما بعد الحداثة والفنون الأدائيّة**، تر: نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1999م، ص 04- 05 .

* - **تيري إيجلتون: تيلاينتس فرانسيس إيجلتون (Terry Egelton) (1943م): من أبرز ناقدي فلسفة ما بعد الحداثة، قام بإصدار كتاب "أوهام ما بعد الحداثة" سنة 1996**.

[3] - تيري إيجلتون، **أوهام ما بعد الحداثة**، تر: منى سلام، مركز اللّغات والتّرجمة، أكاديميّة الفنون، د.ط، 1996م، ص 06- 07.

[4] - محمد محمد سكران، **التربية والثقافة فيما بعد الحداثة**، المرجع السابق، ص 55.

– وعلى الطّريق نفسه يرى "جان فرانسوا ليوتار"[*] (Jean François Lyotard) أنّ ما بعد الحداثة تمثّل كل ما تمّ تلقّيه في التّسارع المدهش، فلا يصبح العمل ما بعد حديثا إلا إذا كان أوّلا ما بعد حداثيا، وهي تظهر في حالة ولادة دائمة".[1]

– ويعرّفها آخر على أنها رفض لكلّ الأطر والأنماط السّائدة والتّشكيك في مختلف القواعد والمطلقات والحدود بغرض القضاء على كل المرتكزات الحداثيّة وفي مقدّمتها العقلانيّة وإحلال السياسة رغبة محلّها، وبعد أن عجزت العقلانيّة عن فكّ قيود الإنسان وبالتالي يبقى البديل هو العمل من خلال رغبة الجسد.[2]

خلاصة التّعريفات السّالفة الذّكر؛ نستنتج من خلالها أنّ مشروع ما بعد الحداثة يعبّر عن مجموعة من المخالفات والتّوجهّات التي تمثّل بدورها اتّجاها مضادا للفكر الحداثي، إذ يُشكّك في العديد من المفاهيم والأفكار في مختلف المجالات الفنيّة والأدبيّة والفلسفيّة، إذ لا وجود لرؤى نهاية مطلقة، فضلا عن ذلك نجد أنّ هذا التّشكيك قد امتدّ إلى كل من المعرفة والعلم والنّظم السّياسيّة التي تقوم عليها الحضارة الغربيّة المعاصرة، وباختصار فإنّ ما بعد الحداثة ترى العالم برؤية مغايرة باعتباره عالم متغيّر نسبي وغير ثابت، ولا وجود لحقيقة يقينيّة.

2– نشأة ما بعد الحداثة:

يقوم فكر ما بعد الحداثة على نقد مرتكزات الحداثة الغربيّة، كون هذه الخيرة قد فشلت في تحقيق مرادها، ما أدّى إلى تأزّمها وبالتالي بروز العنصريّة والسلطويّة خاصّة في المجال الاقتصادي الذي فشل في تحقيق رفاهيّة الإنسان نتيجة السّيطرة الطّبقيّة على الثروات الطّبيعيّة، إضافة إلى بروز حروب تهدّد البشريّة، إذ أصبح الإنسان الحداثي باسم العقلانيّة

[*] – [**]جان فرانسوا ليوتار (Jean François Lyotard) (1924م– 1998م): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، اشتهر بأنه أوّل من أدخل مصطلح ما بعد الحداثة أي الفلسفة، قام بنقد الحداثة وفكرة التّنوير ويدعو للتّخلّي عنها[**].

[1] – جان فرانسوا ليوتار، **في معنى ما بعد الحداثة (نصوص في الفلسفة والفن)**، تر: السعيد لبيب، المركز الثقافي العربي، ط 01، الدّار البيضاء، المغرب، 2016م، ص 61.

[2] – محمد محمد سكران، **التربية والثقافة فيما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 56.

يستعمر ويحتلّ الشّعوب، وبالتّالي ظهور الفوضى وغياب التّعايش السّلمي، ما جعل الفلاسفة والمفكّرون يتّجهون اتّجاها نقديا نحو قيم الحداثة بمجملها.[1]

إنّ الانطلاقة الفعليّة لنقد مشروع الحداثة قد ظهرت مع الفيلسوف الألماني "فريديريك نيتشه"[*](Fridirich Nietzche) وذلك في القرن التّاسع عشر، فقد أخذ على عاتقه مهمّة نقد ودحض مقوّماتها وعلى رأسها العقلانيّة، وقد أخذ هذا التّوجّه بالتّوسع ليشمل الفيلسوف الوجودي "مارتن هيدغر"، وأصبح أقوى مع أتباع "نيتشه" (Fridirich Nietzche) من أمثال: "ميشال فوكو"[*](Michel Foucoult) و"جاك دريدا[*](Jacques Derrida) و" ليوتار" (jean francois lyotard) و"غاتيمو" ، وينطلق هذا الخير من فكرة مفادها بروز ما بعد الحداثة، يعود إلى فكرتين أساسيّتين؛ أوّلهما: توقّف هيمنة أوروبا على العالم، وثانيهما: التّطوّر السّريع لأدوات الإعلام والاتصال والتي فتحت آفاقا للثّقافات المحلّية والفرعيّة[2]، كما تعود جذور فكر ما بعد الحداثة إلى سبعينيّات القرن العشرين عن طريق تلك الانتفاضات التي قام بها الطّلاب في ماي 1968م، الذي تلاقى مع المشروع الفرنسي ما بع البنيوي، إذ يمثل هذا التّلاقي البداية الحقيقيّة لهذا المشروع.[3]

---

[1] – علي حسين يوسف، **ما بعد الحداثة وتجلّياتها النّقديّة**، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، ط1، 2016م، ص 26.

[*] – [**]فريديريك نيتشه (Fridirich Nietzche) (1844م– 1900م): فيلسوف ألماني، كان لعمله أثر عميق في الفلسفة الغربيّة وتاريخ الفكر الحديث، من أبرز مؤلّفاته: هكذا تكلّم زرادشت، ما وراء الخير والشّر، أفول الأصنام، جينيالوجيا الأخلاق ...الخ) [**].

[*] – [**]ميشال فوكو (Michel Foucoult) (1926م– 1984م): فيلسوف فرنسي، من أبرز فلاسفة النصف الخير من للقرن العشرين، تأثّر بالبنيويين، ابتكر مصطلح "أركيولوجية المعرفة"[**].

[*] – [**]جاك دريدا (Jacques Derrida) (1930م– 2004م): فيلسوف وناقد أدب فرنسي، أوّل من استخدم مفهوم التّفكيك بمعناه الجديد في الفلسفة ما جعله من أهم فلاسفة القرن العشرين، من بين مؤلّفاته:/ بداية الهندسة[**].

[2] – الزاوي بغورة، **ما بعد الحداثة والتّنوير (موقف الأنطولوجيا التاريخيّة، دراسة نقديّة)**، دار الطّليعة، ط1، بيروت، 2009م، ص 15.

[3] – إيهاب حسن، **ما بعد الحداثة (إبهام المصطلح وغموض الدّلالة)**، تر: بدر الدّين مصطفى، مجلّة الفنون المسرحيّة، مج 06، ع 01، 1981م، ص 08– 09.

على أي حال، يمكن القول أنّ مشروع ما بعد الحداثة قد جاء بفعل التّغيّرات والتّطوّرات التي عرفتها الحضارة الغربيّة، خاصّة في المجال العلمي والاقتصادي، وما وصلته من ذروة في القرن العشرين، ما يؤكّد أنّ العالم الآن أصبح يعيش التّغيّر المستمر فهو عالم عرضي بلا أساس، إضافة إلى أنه يستهدف ما بعد الحداثة بشكل منظّم للقضاء على الأفكار والتّصوّرات الكلاسيكيّة التي تقوم عليها مقوّمات الحداثة، بعد أن فشلت في تحقيق وظائفها، وهو ما أدّى بدوره إلى تأزّمها لتقوم على أنقاضها توجّهات جديدة تسعى للكشف عن عيوبها ومعالجتها من خلال إنشاء بنى مضادّة لها.

3- المبادئ العامّة لما بعد الحداثة:

تقوم ما بعد الحداثة على مرتكزات ينبغي علينا الوقوف عليها والإشارة إليها وهي بروز مبدأ العدميّة* الذي صاغه "نيتشه"(Fridirich Nietzche) ؛ والذي يعني به لا قيمة للقيم، بمعنى أنّ جلّ القيم التي كانت سائدة فيما مضى هي قيم ثابتة، ومع بروز الحداثة أصبحت عدما أفقدها معانيها وحقائقها، إلا أنّنا نذكر أنّ حركة التّنوير قد سبقت "نيتشه" في تقرير هذا المبدأ من خلال كشفها عن المُثُل الدّينية والقيم الأخلاقيّة.[1]

فضلا عن ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الفيلسوف يمثّل الزّعامة في الفكر الفلسفي نظرا لتصوّراته الفكريّة التي قام بطرحها سواء في حياته أو بعد وفاته، حيث يعرف أنّ "فلسفته فلسفة شكّية كونه قد تولّى مهمّة مناقشة وتفكيك العقل الغربي الذي يتأسّس على

* - **العدميّة (Nihilisme): مشتقّة من اللّفظ اللّاتيني (Nihli) ومعناه لا شيء، والعدميّة الفلسفيّة (Nihilisme Philosophique) فهي مطلقة ونقديّة تتميّز بإنكار وجود كلّ شيء، والنّقديّة: تمكر قدرة العقل على بلوغ الحقيقة، وهي العدميّة مرادفة للريبية (Scepticisme)، في حين العدميّة الأخلاقيّة (Nihilisme moral) وهي مذهب نظري أو نزعة فكرية، المذهب النّظري يدل على خلو العقل من تصوّر هذه القيم، ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، ص 66**.

[1] - محمد الشيخ ياسر الطائري، **مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة**، المرجع السابق، ص 14.

اللوغوس، وبإعلانه عن "موت الإله" كان بمثابة تمهيد لنهاية الميتافيزيقا* التي ترجع إلى أفلاطون.[1]

وعليه، فإنّ النّقد الذي قدّمه "نيتشه" للحداثة وعدميّته كان الباب الأوسع لدخول عصر ما بعد الحداثة كونه قد رفض الإيمان بغبائه، وقد بدت قيم الحداثة في نظره مجرّد عدميّة ونسبيّة قابلة للتّغيير، فهي ليست أزليّة[2]، واستخدامه لمفهوم العدميّة ما هو إلا أداة للكشف عن الأزمات التي يعاني منها العالم الحديث، فغياب القيم دفع بالإنسانيّة للعيش في قلق دائم.

بالإضافة إلى ذلك، وقف "هيدغر" على الفكر الحداثي موقف نقد، حيث نجده قد هاجم التّكنولوجيا التي أصبحت تكسو العالم ككل، فهذا العصر التّقني ما هو إلا عصر عدمي ميتافيزيقي في نظره؛ يدفع المجتمع إلى الانحطاط الرّوحي، وبالتالي زوال القيم الأخلاقيّة نتيجة هوس المجتمع الأوروبي بالتّكنولوجيا والتّقنيّة.[3]

بدأ "ميشال فوكو" بمقاضاة الفكر الغربي من كتابه الشّهير "تاريخ الجنون"، حيث ناقش الحداثة من خلال نقد آراء "كانط" في نصّه "ما الأنوار" الذي نشره عام 1784م، لِما لهذا النّص من وقع في بلورة الفكر الفوكوي من خلال إعادة بناء حداثة جديدة ترفض كل دعائم النّزعة الإنسانيّة ومختلف المصطلحات التي تقوم عليها، فهي بمثابة محاولة لقلب أسس العقل والذّات والحرّية عن طريق نفيها، واعتبر العقل واللاعقل من تراكيب العقل.

---

* – **الميتافيزيقا (Métaphisique): ما بعد الطبيعة اختلف مدلولها بإختلاف العصور، فموضوعها عند أرسطو والمدرسيين يشتمل على البحث في الأمور الإلهية والمبادئ الكلية، والعلل الأولى، وموضوعه عند المحدثين مقصور على البحث في مشكلة الوجود (المجودات اللا مادية، وحقائق الأشياء ومطلقيتها، والبحث فيما يجب أن يكون)، ومشكلة المعرفة. ينظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، د.د.ن، د.ب، د.س، ص301**.

[1] – بوزيرة عبد السلام، **طه عبد الرحمن ونقد الحداثة**، المرجع السابق، ص 81– 82.

[2] – منذر فاضل حسن الدليمي، **العدميّة في رسم ما بعد الحداثة**، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، ط 1، عمان، 2011م، ص 129– 131.

[3] – منذر فاضل، حسن الديلمي، المرجع السابق، ص 132– 133.

فضلا عمّا سبق، يعدّ الفيلسوف المؤسّس الحقيقي لفلسفة "موت الإنسان"، أي بذلك نهايته قيمة ومفهوما تاريخيا، ويعدّ بذلك "ميشال فوكو" وريثا نيتشويا يتّجه بالفلسفة اتّجاها ينقد وفقه الحداثة ومقدّساتها.[1]

من بين الأقطاب التي رسمت لنفسها مسارا عميقا في هذا المنحنى؛ نجد فيلسوف الاختلاف "جاك دريدا" الذي يرى أنّ التّفكيك ليس عدميا وتفويضيا باعتبار فكر ما بعد الحداثة فكر تفويضي معاد للعقلانيّة، إذ يرمي للتّخلّي عن الميتافيزيقا والحقيقة والشّك، وبذلك يسعى إلى هدم القواعد والنّماذج التي تتميّز بالثّبات والاستمراريّة، وقد انطلق في وضع مشروعه من خلال جدليّة الشّك واليقين الذي كان يتحكّم في العقل، وبذلك بدأت فكرة المطلق تتراجع، وظهرت فكرة النّسبيّة، وعليه لا وجود ليقين دائم وحقيقة ثابتة مثلما كانت عليه الحالة في عصر الحداثة[2]، وعلى هذا الاتّجاه قام "دريدا بنقد العقل الذي يقر بالمطلقيّة والثّبات حول ذاته.

فضلا عمّا سبق، تجدر الإشارة إلى أنّ "هابرماس" الذي كشف بدوره عن النّقائص التي حملتها الحداثة وعقديّة التّنوير التي فشلت في تطبيق شعاراتها الدّاعية إلى التّحرّر والتّقدّم مع الواقع الذي يكرّس الاستبداد والإمبرياليّة والهيمنة، وفي رأيه يمكن مراجعة هذه الأزمة وإعادة بنائها، وما يميّز "هابرماس" عن الفلاسفة المعاصرين هو تميّزه عن مضمونين للحداثة: مضمون سلبي الذي يقوم على الشّموليّة والعقلانيّة المتسلّطة على الذّات، ومضمون إيجابي لا يمكن إنكار فوائده على الفكر الإنساني، وفي رأيه تأزّم الحداثة يرجع إلى سوء استخدام العقل في مجال العلم والتّقنيّة ضمن شروط لا تراعي الآثار الخطيرة التي تنبثق

[1] – جلول مقورة، **من الحداثة إلى ما بعد الحداثة**، مجلّة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة الشّهيد حمّة لخضر، الوادي، ع 28، ديسمبر 2018م، ص 311– 312.

[2] – جلول مقورة، **من الحداثة إلى ما بعد الحداثة**، مجلّة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة الشّهيد حمّة لخضر، الوادي، ع 28، ديسمبر 2018م، ص 312.

عنها، وهو بذلك يدعو إلى تأسيس عقلانيّة تواصليّة تنفتح على عقول معرفيّة جديدة، ففي نظره يمثّل الحوار والتّفاعل قاعدة أساسيّة للبحث العلمي.[1]

خلاصة القول، فإنّ المشروع ما بعد الحداثي ذو طابع تقدّمي يهدف إلى تحرير قوى الإنسان وإمكانيّاته للقضاء على كل ما هو تقليدي، والنّقد الذي مارسه مفكّري ما بعد الحداثة للمشروع الحداثي ليس بغرض الهدم، بل يهدفون إلى تحرير الفكر الإنساني من جميع القيود من خلال آفاق جديدة للبحث العلمي تساعد الإنسان على فهم ووعي العالم الذي يعيش فيه وحقيقته لا كما يضعها له فكر الحداثة.

[1] – خالد مزاتي، **إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربيّة: جان فرانسوا ليوتار ويورغن هابرماس أنموذجان**، جسور المعرفة، جامعة أدرار، الجزائر، مج 06، ع 04، ديسمبر 2020، ص 104.

المبحث الثاني: المقاربة النقدية للحداثة الغربية من منظور "زيجمونت باومان":

I- ترجمة زيجمونت باومان:

ولد زيجمونت باومان (Zygmant Bawman) في يوم 19 نوفمبر 1925م، في مدينة بوزنان ببولندا[1]، ويعدّ أحد أشهر علماء الاجتماع ومنظري ما بعد الحداثة وكذلك أحد كلاسيكيات ما بعد الحداثة ، ومن أبرز علماء الاجتماع تأثيرا في القرن العشرين.[2]

اشتغل في المخابرات العسكريّة كمدرّس للعلوم السياسية، وخلال المرحلة المقدّرة ما بين (1939م- 1953م) قام بتدريس علم الاجتماع في جامعة وارسو، ثم انتقل بعد ذلك لتدريس الفلسفة، وفي عام 1954م صار أستاذا محاضرا في جامعة وارسو بصفة رسميّة واستقرّ هناك إلى عام 1968م[3]، وفي سنة 1971م أصبح أستاذ علم الاجتماع بجامعة "ليدز" أين حصل فيها على جائزة "أمالي الأوروبيّة" لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية عام 1992م وجائزة العلوم الإنسانيّة، وقد أطلقت جامعة "ليدز" "معهد باومان" ضمن كلية علم الاجتماع والسياسية والاجتماعية تكريما لـ"باومان" في سبتمبر 2010م.[4]

استقرّ "زيجمونت باومان" في مدينة "ليدز" إلى أن وافته المنيّة يوم 09 جانفي 2017م، قام بنشر العديد من الكتب والبحوث التي كان لها شهرة واسعة وعالمية.[5]

ينتمي "باومان" إلى المدرسة النقديّة والتجديدية الماركسية، حيث استقى منابع فكره من "جورج زيميل" و"أنطونيو غرامشي" و"أنتونو غيدنزو" و"روبرت كاستل" و"بيير بورديو".[1]

---

[1] – عبد الإله فرح، **زيغموت باومان والسوسيولوجيا**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع 13، نوفمبر 2017.

[2] – Lana Kriphana, **Zygmunt Bawman on modernity death**, academia, edu/ zygmunt Bawman on modernity –death croation.

[3] – العلوي رشيد، **زيغمونت باومان: من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة، الشرق الأوسط**، جريدة العرب الدولية، 12 يناير 2017، تاريخ الدخول 29 ديسمبر 2022، الساعة: 7 مساءا، الرابط: http://aawsat,con/mode.

[4] – Révolution: Global trends & regional issuse, "**for away from solid modernity– interview writh Zygmunt Bawman**", vol 1, issue 1, June 2013, pp 24– 29.

[5] – زيغمونت باومان وآخرون، **قوة الكلمات – حوارات وأفكار–**، تر: لطيفة الديلمي، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط 01، 2017، ص 13.

أما من الناحية الفلسفيّة فنجده قد تأثر بالعديد من الفلاسفة؛ أبرزهم "إيمانويل ليفيناس* (Emmanuel Levinas) الذي يعدّه "باومان" من أبرز منظّري الأخلاق في القرن العشرين، والتي تستند على مبدأ أساسي وهو الاعتراف بشخصيّة الآخر وكرامته.

ولم يقتصر تأثره الفكري بالفلاسفة فحسب إذ نجده قد تأثر كذلك بعلماء الاجتماع منهم: "دوركايم"* و"ماكس فيبر"* و"جورج زيميل"* و"أنجلو جرامش"*، فنجده على سبيل المثال أنه قرأ مذكّرات السّجن للمفكّر "جرامش" الذي يعتبر الحقيقة متغيّرة، وهو ما يتجلّى بوضوح عند باومان في مقولة الحداثة السائلة، حيث يقرّ فيها بأن الحقيقة الوحيدة هي اللا يقين.[2]

بالإضافة إلى ذلك نجده قد تأثر بـ"ثيودور أدورنو" من خلال نقده للحداثة الغربية، وكذلك "ميشال فوكو"* الذي أخذ منه مصطلح "البنابيتكون" برج مراقبة كبير يتوسّط كل شيء، فهو يرى كل شيء ولا تتم رؤيته، الذي دخل في مرحلة السيولة حسب "باومان" نظرا

---

[1] – محمد همام، **الحداثة والخوف وكورونا**، مركز النهوض للبحوث والدراسات، جامعة ابن زهر، المغرب، 2020م، ص 14.

* – **إيمانويل ليفيناس: فيلسوف فرنسي معاصر، صاحب الفلسفة الأخلاقيّة المتمثّلة في الأنا والآخر أو إيتيقا الغيرية**.

* – ** إيميل دوركايم (David Emile Durkheim) (1858– 1917)، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسّسي علم الاجتماع الحديث**.

* – **ماكسيميليان كارل إميل فير (Max Weber) (1864– 1920)، عالم اجتماع ومؤرّخ، واقتصادي سياسي ألماني، يعد من أهم المنظّرين لتطوّر المجتمع الغربي الحديث**.

* – **جورج زيمل (Georg Simmel) (1858– 1918)، هو فيلسوف واجتماعي، وضع منهجه للكانطيّة الجديدة، كان رائدا لأساليب التفكير البنيوي، ويعد" مقدمة لعلم الاجتماع الحضري والتفاعل الرمزي**.

* – **أنطوني جرامش (Antonio Gramscia) (1891– 1937)، فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، يطلق على فكره اسم الغرامشية التي هي فلسفة البراكسيس، من أهم مؤلّفاته: دفاتر السجن**.

[2] – نهى محمد أحمد السيد، **سوسيولوجيا ما بعد الحداثة " زيغمونت باومان أنموذجا** "، مجلة البحث العلمي في الآداب (العلوم الاجتماعية والإنسانيّة)، ج 04، ع 21، 2020، ص 85.

للانتشار المتسارع لأدوات التكنولوجيا الجديدة التي صارت تشكل نوعا من المراقبة والسّيطرة.[1]

كان لهذه المصادر الفكرية أثر كبير على "باومان" ليشقّ طريقا خاصّا به يحلّل وفقه روابط الحداثة وما بعد الحداثة وكذا النزعة الاستهلاكيّة.

قام "باومان" بابتكار مصطلح الحداثة السائلة كونها الأداة التي نستطيع من خلالها الكشف عن الوضع الحالي للمجتمع الإنساني وما لحق به من تغيّرات تخلّلت في مختلف جوانب الحياة[2]، ومن خلال مؤلّفاته أعطى "باومان" نموذج تفسيري للعصر الرّاهن الذي انتقل من حالة الصلابة واليقين إلى عصر السيولة والتغيّر الدّائم[3]، ومن مؤلّفاته التي ترجمت إلى العربية نذكر ما يلي:

- الحداثة والهولوكست (1989) Modernity & Holocaust
- الحداثة الشائلة (2000) Liquid modernity
- الحب السائل 2003) Liquid love: on the frailty of human bonds
- الحياة السائلة (2005) Liquid life
- الخوف السائل (2006) Liquide fear
- الأزمنة السائلة (2006) Liquid times
- الثقافة السائلة (2011) Culture in a liquid modern world
- حالة الأزمة بالاشتراك مع كارلو بوردوني State of crisis
- الشر السائل بالاشتراك مع وليون يداس دونسيكس Liquid Evil

[1] – جدراوي عفاف، **براديغم السيولة وتطبيقاته النقدية عند زيغمونت باومان**، إسراف: دواق الحاج، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، الطور الثالث في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، 2020– 2021، ص 38– 39.

[2] – زيغمونت باومان وآخرون، **قوة الكلمات –حوارات وأفكار–**، مصدر سابق، ص 13.

[3] – أحمد مبارك، محمد أمين بكيري، **السيولة وتجلّياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 09، ع 02، 2021، ص 1282.

- المراقبة السائلة بالاشتراك مع ديفيد ليون Liquid surveilance
- عن الله والإنسان بالاشتراك مع وستا نسواف أوبيرك Of god and man

II- مفهوم الحداثة عنده "الحداثة الصلبة، الحداثة السائلة":

1- مصطلح الحداثة الصلبة:

يرجع ظهور الحداثة الغربيّة إلى بدايات عصر النّهضة الأوروبيّة، حيث بدأت مظاهر الانفتاح المعرفي والرغبة في التغيير لتشمل مختلف الميادين، كانت هذه التّحوّلات الفكرية الكبرى مناقضة تماما لما كان عليه فكر العصور الوسطى، إذ تم إخضاع جلّ المعارف السابقة إلى النقد والمناقشة والتّشكيك وأعيد الاعتبار إلى العقل وسيادته، وأسّست مناهج علميّة جديدة مثّلت مرتكزات صلبة للمشروع الحداثي.

نجد أنّ زيجمونت باومان يعطي آراءً في التحوّلات التي طرأت على الحداثة فهي على حدّ تعبيره "**الحداثة الصلبة هي تلك التي دشّنها عصر التّنوير في القرن الثامن عشر تأسيسا على تحوّلات وإرهاصات تنامت منذ انتهاء العصور الوسطى وتصلّبت في عصر العقلانية**"[1] ما يعني بأن الحداثة وريثة النهضة الأوروبية، وهي تعبّر عن تلك الموجة الحضارية التي أثّرت في الفكر العربي، إذ استطاع الفكر أن يتخلّص من فكر العصور الوسطى القائم على الخرافة والأساطير نحو الاعتماد على العقل وحده طريقا للمعرفة.[2]

وقد جاءت الحداثة في قوله: " **لتؤكّد مركزية الإنسان وقدرته على بسط سلطان العقل على الطبيعة وإخضاعها له بعد أن كانت فيما معنى هي القوى المسيطرة عليه**".

من خلال تفعيل مركزيّة الإنسان فإنّ الحداثة من منظور "باومان" "**تحتاج إلى أهل تخطيط وتنظيم يرسمون تصوّرهم للفردوس الأراضي ويشيّدون جنّة الخلد هنا والآن**"

---

[1] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، تر: سعد البازعي، بثينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط 1، أبو ظبي، الإمارات، 2016، ص 10.

[2] – زيغمونت باومان، **الأزمنة السائلة –العيش في زمن اللايقين–**، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، ط 01، 2017، ص 07.

فكانت الدول في فترة الحداثة الصلبة تسعى إلى تنظيم شؤون الحياة وتسيير إرادة المواطنين، فهي بذلك تعتمد على سياسة التنظيم المحلّي للتسهيل على الأفراد طرق التعاملات لتحقيق المصالح العامة والسعادة[1]، ما يشترط على الدولة رسم حدود جغرافية تفصل بينها وبين الدول الأخرى، فكانت الحداثة الصلبة –كما يقول باومان– "**من سمات الحداثة في تفعيل مبادئ الليبرالية من خلال تطبيق ما يعرف بالرأسمالية الثقيلة والتي تظهر بوضوح في المشاريع والمصانع الضخمة والعمال والمعدّات وكذا ارتباط رأس المال بالأرض**"[2]، باعتبار أنّ هذه الأخيرة ساهمت بشكل كبير في تقدّم العالم وتحقيق ازدهاره وتحسين المستوى المعيشي للأفراد بتلبية مختلف حاجياتهم، ما جعل "باومان" يتساءل إلى أي مدى استطاعت الحداثة الصلبة الوفاء بوعودها؟ إذ يجيب في ذلك من خلال مقولته عن الحداثة "**أنّها حالة من التحديث الوسواسي القهري الإدماني، وتحسين الأشياء باستمرار، وهي بذلك أشبه بسيف حاد يستهدف دوما الواقع**"، وهو ما يبشّر بانهيارها وزوالها.[3]

2- مصطلح الحداثة السائلة:

تمثل مرحلة نهاية الحرب العالمية الثانية مرحلة ما بعد الحداثة والتي يطلق عليها زيجمونت باومان باسم "الحداثة السائلة"[4]، إذ يقوم مفهوم السيولة من منظوره على الميوعة والسيلان ما يعني الميوعة والذوبان والتغيير باستمرار في مختلف المجالات، وهو ما يعبّر عنه في قوله: "**أنّ الميوعة هي تسمية المواد السائلة والغازيّة ... وتتميّز عن المواد الصلبة بعدم قدرتها على الاحتفاظ بقوى التماسك بين مكوّناتها في حالة السّكون، ومن ثمّ**

---

[1] – نفسه، ص 07.

[2] – نقلا عن: أحمد أمبارك، محمد أمين بكيري، **السيولة وتجلّياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مرجع سابق، ص 1284.

[3] – نقلا عن: شراد فوزية، **من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة –مكامن التّأزم وسبل الانفراج– منظور زيغمونت باومان**، سلسلة الأبحاث الخاصة بالمؤتمر السنوى الدولى:"كيف نقرأ الفلسفة" مج3، العدد 1، العدد5، 2017، ص 750.

[4] – أحمد أمبارك، محمد أمين بكيري، **السيولة وتجلّياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مرجع سابق، ص 1285.

تغيّر شكلها باستمرار مادامت تتعرّض لإجهاد"[1]، وتصبح بذلك متغيّرة ومتحوّلة باستمرار، علاوة على ذلك تمثّل الحداثة السائلة جل التّحوّلات التي تؤثر على حياة الإنسان، ففي نظر "باومان" يمكن لهذا المصطلح أن يتغلّب على مفهوم ما بعد الحداثة لأنه يتّجه أساسا نحو العالم المعاصر، ذلك الواقع الذي تنظر فيه الحياة إلى حدّ كبير إلى ما هو مؤقّت وليس دائما، فوري وليس طويل الأجل، وعليه من الأساس أن نفهم مقدّما وبعمق مفهوم السّيولة الذي ينسج حوله "باومان" أحدث انعكاساته الفلسفيّة والاجتماعيّة، باعتبار أنّ الصلابة والسّيولة هي السّمات المميّزة لعصرين؛ الحداثة وما بعد الحداثة، والتي أصبحت من خلالها الحداثة السائلة تتّصل اتّصالا وثيقا بالوجود المعاصر وتحوّلاته.[2]

جلبت الحداثة معها الرّغبة في السّيطرة حسب "باومان" هذه الرّغبة في السّيادة لا تعاني من أي مقاومة، حيث يسعى الإنسان بشكل متزايد إلى إنتزاع نفسه بعيدا عن الطبيعة فهو يريد إخضاعها لنفسه، ويعتقد في ذلك أنّ إتقان الطبيعة لا يمكن أن يعني شيئا سوى التّحرر من الضرورة وهذا يؤدّي إلى الحرّية الشاملة.

الوضع الحداثي يتّسم بالتّغيّر وعدم الثّبات، إذ لا يمكن أن يثبت في صورته الدّائمة وهو ما جعل "باومان" يطلق عليها بالحداثة السائلة (مرحلة ما بعد الحداثيّة)، يعبّر في هذا الصّدد قائلا: "**وما قرّرت أن أسمّيه بوضح الحداثيّة السائلة إنما هو الإيمان المتنامي بأن التغيّر هو الثّبات الوحيد، وأنّ اللايقين هو اليقين الوحيد، فإذا كانت الحداثة في المائة عام ماضية تعني محاولة الوصول إلى (حالة نهائية الكمال)، أما الآن فالحداثة تعني عملية تحسين وتقدّم لا حدّ لها من دون وجود حالة نهائية في الأفق**"[3]، فما يميّز الحداثة

---

[1] – نقلا عن: شراد فوزية، **من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة –مكاتب التأزم وسبل الانفراج– منظور زيغمونت باومان**، مرجع سابق، ص 751.

[2] – Emmo Palese, **Zygmunt Bawman, Individual and soreity in the liquid modernity**, https:www,springerplus, com, p 02– 04.

[3] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2016، ص 26– 27.

السائلة إنما هو انصهار لكل ما هو صلب وثابت باعتبار أنّ الحداثة السائلة هي "**حالة من التغيّر الدّائم**"[1]، وبذلك فهي ضد لكل ما هو متماسك كونها تقضي على الركود وكل ما لا يقبل التغيّر والتعديل، فلا تكون الحداثة إلا "**بإذابة المواد الصلبة أي تذويب كل ما يتشبّث بالبقاء على مرّ الزمان ويتجاهل مروره أو يسلم من تدفقه وجريانه**".[2]

أما الآن فإن الحداثة تعني "**عملية تحسين وتقدّم لا حدّ لها من دون وجود حالة نهائية في الأفق**"[3]، يظهر لنا من خلال هذا القول أنّ الحداثة وما بعد الحداثة ترتكز على معالم ثابتة وواضحة لجميع الأفراد، أما الآن فهي تمثل التغير واللايقين ما جعل "باومان" يطلق عليها اسم الحداثة السائلة.

استعمل "باومان" مفهوم الحداثة السائلة لالتقاط التغيرات الاجتماعية الدراماتيكية التي تحدث في حياتنا اليومية وفي الشبكات الاجتماعية، حيث يقول في ذلك "**نحن نتّجه من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة، ما يميّز حداثة الماضي هو انها ثقيلة وصلبة وكثيفة ومنهجيّة، أما حداثة اليوم فهي خفيفة وسائلة، وتنتشر مثل الشبكة**".[4]

يتبيّن لنا من خلال هذا بوضوح التغيّرات التي لحقت التفاعلات الاجتماعية، إذ أصبح التواصل مع الغير يتم بطريقة سهلة وخفيفة عكس ما كانت عليه فيما مضى، حيث أصبحت تنتشر من مكان لآخر كالشبكة تماما، وهو ما نلمحه في وسائل التواصل الاجتماعي.

الحداثة السائلة مصطلح اخترعه "باومان" لكي يكون أداة من خلالها يستطيع المرء فهم النسخة الراهنة سواءا كان ذلك في الفكر أو الأدب أو في العلاقات الاجتماعيّة، "**فقد**

---

[1] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 183.

[2] – زيغمون باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 41.

[3] – زيغمون باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 27.

[4] – Jytte Holmaqvist, **Modernity and postmodernity in Zygmunt Bawman, Sthoughts**, https://academia, edu/ modernity and podtmodernity in Zygmunt Bawman's thoughts, 2/1/2021, 9 pm.

استخدم مصطلح "الحداثة السائلة" Liquid modernity للإشارة إلى الشّكل الراهن للوضع الحديث الذي يصفه مؤلّفون آخرون بأنه ما بعد الحداثة Post modernity، أو الحداثة المتأخرة Late modernity، أو الحداثة الثانية Second modernity، أو الحداثة العليا Hyper modernity"[1]، وعليه فإن الحداثة السائلة تمثل الواقع المعاصر الذي تعيشه الإنسانية اليوم الذي امتدّ تأثيرها على كل الميادين منها الأخلاقيّة والثقافية والاقتصادية والاجتماعيّة ... الخ.

III- أزمة الحداثة الصلبة وسبل الانتقال من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة:

يتّفق العديد من الباحثين والمحلّلين أنّ الحداثة عانت أزمة حقيقية نظرا للتغيّرات والتّحوّلات الكبرى التي عرفتها البشرية، ونجد أنه من أبرز المفكّرين الذين اتّخذوا على عاتقهم مهمة تحليل ونقد المشروع الحداثي الغربي يظهر لنا جليا المفكر السوسيولوجي "زيجمونت باومان" الذي استطاع كشف العديد من عيوب ونقائص الحداثة وسقطاتها، فهو قد عارض توجّهاتها ومبادئها وقيمها ويظهر ذلك فيما يلي:

1- التّحرّر:

ساهمت الحداثة الصلبة في بروز العديد من الآليات التي أدّت إلى تغيّرات أثّرت بشكل بارز على الإنسانيّة، ومن هذه الآليات فكرة التّحرّر "**ففي مدى القرنين أو الثلاثة التي مضت، ومنذ تلك القفزة الكبرى باتّجاه الاستقلال الذاتي وإدارة الذّات التي تسمّى أحيانا التنوير وأحيانا مجيء العصر الحديث سار التاريخ باتجاه لم يخطّط له أحد ... هو أنّ القرنين أو الثلاثة التي مضت بدأت بتعميم إنساني يكون التاريخ تحت إدارة سيطرة بشرية**"[2]، وفي نظره يمثل التحرّر قدرة الإنسان وتمكّنه من التّخلّص من كل التّوجّهات

[1] – زيغمونت باومان، **الثقافة السائلة**، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، 2018، ص 19.

[2] – زيغمونت باومان ، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 154.

المقيّدة والرّافضة لحركة الفعل وتجاوزها يؤدّي إلى حرية الفعل، وبذلك يصبح الإنسان حرّا ما لم تقيّده مبادئ تؤثّر بدورها في الرّغبة فيما يطمح إليه مستقبلا.[1]

حينما يطرح "باومان" تساؤلا فيما إذا كانت الحرية نعمة أو نقمة؟ ليصل إلى أنّ التّحرّر عبارة عن مفهوم يشمل على قائمة الإصلاحات السياسية في العصر الحديث، في حين الحرية كانت ترسو مبادئها على قائمة القيم التي ناد بها المفكّرون، ويجيب في ذلك بطريقتين؛ الأولى منها هي ريب العامة من الحرية فما يجعل الناس أحرارا هي في الغالب الحقيقة العامة التي لا يسعى الناس إلى معرفتها، أما الثانية في أنّ الناس على حق عندما يرتابون من الفوائد التي توفرها لهم الحرّيات المعروضة، وبذلك لا وجود لتناقض بين كل من الاستسلام والتّحرّر.[2]

أخذ "باومان" على عاتقه مهمة تطوير نماذجه النقدية للحداثة الغربية وذلك منذ أوائل السبعينات إلا انه لم ينل شهرة واسعة في أواخر الثمانينات، وكان لهذه التّغيّرات دور كبير في مناقشة انحرافات الحداثة الغربية عن قيم الحرية والتسامح التي ظلّت ملازمة لها على مرّ العقود، فـ: "باومان" استطاع أن ينتهج نفس النّهج الذي سار عليه كل من "ثيودور أدورنو" و"ماكس فيبر" و"ماكس هوركهايمر" خاصة مع زوجته "جانينا" التي من خلالها اكتملت رؤيته النقدية للحداثة الغربية.[3]

ضف إلى ذلك يستند "باومان" إلى موقف "هابرماس" الذي يكشف بأن المشروع الحداثي الغربي كان يرمي إلى تحقيق استقلالية الذات الفردية والجماعيّة لقوة خارجية مهمّتها

[1] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 60.

[2] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 61– 62.

[3] – زيغمونت باومان، **الحداثة والهولوكست**، تر: أبو جبر، دنيا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، 2014، ص 24.

الحفاظ على حرّيات جميع الأفراد من أجل استخدام قدراتهم العقلية وبذلك تكون حرية الفرد من حرية واستقلال جميع الأفراد وهو ما يجب الحفاظ عليه وتحقيقه.[1]

باختصار الحداثة مشروع لم يكتمل بعد ولكنه يبقى قابلا للتعديل والتّصحيح واستبدال الوجه الصّالح بابتسامة مليئة بالأمل والتّفاؤل.[2]

وتماشيا مع ما تمّ ذكره فإن المشروع التنويري كان يركّز بدرجة كبيرة على فكرة "الخلاص" قبل فكرة الحرية والاستقلالية باعتبار أن البشرية كانت تسعى للتحرّر من الاستبداد والقهر الذي كان يمارس عليها، ويظهر ذلك من استلاب لحقوقهم وواجباتهم، فمن وجهة نظر "باومان" على "**الإنسانية أن تتحرّر من العبوديّة الجسديّة والرّوحيّة –من العبوديّة الجسديّة– التي منعت البشر من أن يقودهم العقل في أمانيهم** ..." [3]، إلا أنّ هذا التّحرّر لم يحقّق السعادة في الواقع، بل زاد من شقاء الإنسان، "**فالرجال والنساء صاروا أحرارا كل الحريّة ومن ثم يبدو أنّ أجندة التّحرر قد انتهت**".[4]

كما لاحظ كذلك أنّ المجتمع في مرحلة ما بعد الحداثة يتحرّك بصورة متغيّرة باستمرار وهو ما جعل "باومان" يوافق "يورغن هابرماس" في عدم قدرة المشروع من الوفاء بالوعود بصفة كاملة ما يجعل الحداثة الغربية يشوبها النقص، إذ أنّ الحرية بوصفها الاستقلال الذّاتي لمجتمع أفراد مستقلون وصلت إلى فترة صعبة فترة "**غير مريحة وغير مشوّقة**"[5]، فكانت الثورة الفرنسيّة بشعاراتها القائمة على الحرية والمساواة هي السبيل الوحيد للسعادة في العصر الحديث، فإذا ما كان هذا الفرد حرّا ومتساوٍ مع غيره تحقّقت هذه الخيرة

---

[1] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 156.

[2] – أحمد عبد الحي، **التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط 01، عمان، الأردن، 2013، ص 35.

[3] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 157.

[4] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 67.

[5] – زيعمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 158.

والعكس صحيح، فتحصيل السعادة يقترن بالتحرّر ولكي يصبح حرّا ينبغي "**أن يكون قادرا على السّعي وراء تحقيق رغباته وأهدافه**".[1]

استنادا إلى ما سبق ذكره نجد أنّ الحداثة في مرحلتها التي تتميّز بالثّبات والصّلابة سعت لتحقيق مبدأ التّحرّر للفرد كركيزة تحقّق له سعادته، وكان من نتائجها هو تشكيل مجتمع سيولي على حدّ تعبير زيجمونت باومان يتّسم بالتّغيّر والتّبدّل باستمرار، إذ لا يقوم على ثوابت أين أصبح الفرد خاضعا لهذا التّحديث الذي تغيب فيه السعادة التي كان يطمح إليها وعيشه في خوف وهموم.

2- العقلانيّة:

إنّ الأزمة التي عانت منها الحداثة الصلبة لم تقف عند حدّ معيّن، حيث عاشت العديد من الظّروف والتّغيّرات والتّطوّرات التي وضعتها في المواقف الصّعبة، وبسببها تعرّضت للنّقد الشّديد من طرف المفكّرين، إذ نجد أنّها امتدّت لتشمل مختلف المفاهيم في عشرات الميادين والمجالات، ويتجلّى هذا المأزق فيما وقعت فيه العقلية الحداثيّة، إذ نجد أنّ الفرد في عصر الحداثة الصلبة وفي موجة اندفاعه يتمادى في ثقته بعقله وقدراته، فبقدر ما أفادته في إعطائه قيمة ومركزيّة في بلوغ المعارف والحقائق[2]، بقدر ما عادت عليه بالسّلب وهو ما أدخلها في تأزمات وما جعل زيجمونت باومان يقرّ بأنّ الحكمة القديمة قد كشفت عن آثارها في المجتمعات الحديثة، وظهرت بذلك دلالات الحداثة التي تؤمن بمقولة أنه "**إذا أراد الله أن يهلك عبدا سلّط عليه عقله**"، وهو ما يظهر بوضوح في الجرائم التي مورست على الإنسانيّة وخاصة حادثة المحرقة اليهودية أو الهولوكست[3] التي راح ضحيّتها العديد من

---

[1] – زيغمونت باومان وآخرون، **قوة الكلمات –حوارات وأفكار–**، مصدر سابق، ص 22.

[2] – محمد محمد سكران، **التربية والثقافة فيما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 36.

[3] – * الهولوكوست : هي عملية الإضطهاد والقمع الذي مارسها النظام الألماني النازي تحت قيادة أودولف هتلر غرضها قتل 6 ملايين يهودي في أوروبا التي بدأت سنة 1933م وانتهت سنة 1945 *، ينظر : https : //encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/introduction-to-the-holocus، 2023/02/23، 2 زوالا.

الأبرياء[1]، والتي كانت وليدة العقل ومبادئه التي أصبحت تطغى على مختلف جوانب منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... الخ، حيث كشفت العقلانية الحداثية عن الرّوح العدائيّة للإنسان والمتمثّلة في الحروب الشّنيعة الممارسة على الإنسانيّة حسب "باومان"[2]، وأصبحت بذلك أفعال الإنسان مشابهة تماما لأفعال الحيوان ما يجعله لا يرقى لتلك المكانة التي أعطتها إياه الحداثة الصلبة.[3]

فضلا عن ذلك في هذه المرحلة الحداثية المتميّزة بالصلابة لم يعد التقدّم أساس أمان واطمئنان للأفراد بقدر ما تحوّلت " **فكرة التّقدّم إلى واقع مرير وجبيرة متطرّفة، بعدما كانت أبرز تجلّيات التفاؤل والأهل الكبير لتحقيق السعادة الدائمة للجميع فصار يرمز إلى تهديد دائم وحتمي لا يبشّر بالرّاحة والسّكينة**"، معنى هذا أنّ تلك السعادة التي كان يطمح إليها إنسان الحداثة انقلبت عليه إلى قلق واضطراب وتشاؤم وخوف، ولم يعد التقدّم يمثّل الرقي والتطور الذي يحقق الآمال والتّطلّعات التي بشرت بها الحداثة الصلبة.[4]

إنّ الإنسان الحداثي أصبح في هاته المرحلة مجرّد كائن حيواني أعجم يسعى فقط لتحقيق مصالحه الماديّة والاقتصاديّة، ما جعل العقلانية تفقد أسسها وبالتالي الاعتماد عليها أساس خاطئ[5]، ضف إلى ما سبق يمكننا في هذا الصدد الاستئناس بموقف "آلان تورين" من الحداثة، إذ ساهمت هذه الأخيرة بنقل الفعل العقلاني من فعل موضوعي يحقّق متطلّبات العقل وفق البنى الاجتماعيّة والطبيعية إلى عقل تكنيكي يسعى لتوفير حاجيات المستهلك بالإضافة إلى ما تقدّمه من خدمات للحكم الديكتاتوري المستبد، وهو ما سيغيّر المستقبل، ما دفع كل من "هوركهايمر "وثيودور أدرونو" بتسمية هذه المرحلة بمرحلة أفول العقل.

---

[1] – زيغمونت باومان، **الحداثة والهولوكست**، مصدر سابق، ص 233.

[2] – جدراوي عفاف، حجاج خليل، **سؤال الحداثة عند زيغمونت باومان**، مجلة الرستمية، ع 03، فيفري 2021، ص 172.

[3] – عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 20.

[4] – زيغمونت باومان، **الأزمنة السائلة**، مصدر سابق، ص 34.

[5] – عبد االوهاب المسيري وفتحي التريكي، مرجع سابق، ص 21.

والجدير بالذّكر كذلك أنّ إسهامات العقلانية تتجلّى في بروز كل من النظامين الشيوعي والحرب القومية الآرية مع النازيّة اللّذين مثلا أشكال القمع والتّطرّف والاستبداد، كما أنّ العقلانيّة الحداثيّة أدّت إلى " **أفول العقل الموضوعي الذي لا يمكن أن يؤدّي إلى البربرة النازية عبر تأزمات مجتمع برجوازي فاقد الاتجاه** ".[1]

وعليه فإنّ الحداثيّة التي كان منطلقها العقل زالت وانهارت ما أدّى إلى انهيار القيم الأخلاقية، وبذلك صار الإنسان متجرّدا من إنسانيّته، ويرجع فشل المشروع الحداثي عند "باومان" أنه لم يستطع الوفاء بالوعود والأحلام التي طمحت إليها الإنسانيّة ما خلق حروبا وجرائم خاصة على اليهود، فهذا الانتقال أدّى إلى تفكيك قيم الفرد وبالتالي فقدان مركزيّته التي تمثّله وبروز الأنانيّة والتّسلّط في مقابلها.

3- الفردانيّة:

أدّت الحداثة الصلبة إلى بروز نزعة أخرى وهي النزعة الفردانية التي بدأت على هامش الحداثة الغربية باعتبارها الأكثر صعودا واستمرارا طيلة التاريخ الغربي الحديث، وفي نظر "باومان" فإن تاريخ الحداثة الغربية يمثل تاريخ صعود النزعة الفردانية حيث يقول في ذلك: "**أنّ الفرد كائن فريد وواحد ووحيد ... منفرد في تفرّده حتى أنّ الكلمات التي تشير إلى غيره تعجز عن وضعه**"[2]، إذ يتشكّل المجتمع الحداثي في طوره أفراد متغيّرين تجمعهم علاقات متجدّدة ومتواصلة وهو ما يحدثه التفريد Indinidualization (النزعة الفردية) والسمة التي تميّز هذه النزعة هي التّغيّر باستمرار، فلا يثبت ويتّخذ أشكالا جديدة باستمرار.[3]

نجد أنّ "دوتو كفيل" قد تنبأ بأن الحرية كانت سببا في جعل الأفراد يعيشون في حالة اللامبالاة باعتبار أنّ الفرد هو عدو المواطن، لأن هذا المواطن يحقّق رفاهيّته من خلال

[1] – آلان تورين، **نقد الحداثة**، مرجع سابق، ص 131– 132.

[2] – زيغمونت باومان، **الحياة السائلة**، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، 2016، ص 39.

[3] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، ص 76.

رفاهيّة مدينته، عكس الفرد اللامبالي الذي يكترث فقط بالبحث عن مصالحه الشخصيّة في مقابل المصالح العامة للأفراد[1]، حيث عاد هذا التحرّر بالسلب عليه لأنه يبقى مسؤولا عن جلّ أفعاله ومتحمّلا للعواقب النّاتجة عن اختياراته، حيث أدرك "باومان" مأزق الحداثة التي نقلت إنسان التنوير من الصلابة إلى سيولة الرشد في الواقع، وبالتالي سيولة مفهوم الإنسان ذاته.

هو ما يساهم بشكل بارز في ظهور النزعة الفردانية التي قامت عليها الحداثة، حيث أعطت قيمة كبيرة للإنسان وجعلته أساس الكون وسيّدا على الطّبيعة، ومن وجهة نظر "باومان" لم تستطع الحرية الحفاظ على النّظام بل خلقت العديد من الأزمات التي تعطي أولوية للفرد.

علاوة على ذلك، أصبح للفرد في هاته المرحلة قدرة وسهولة على الولوج إلى أي جماعة بشرية غير جماعته التي عاش فيها باعتبار "**أنّ مجتمع الأفراد أي مجتمعنا الذي خضع لسيرورة النزعة الفردية يتطلّب منا أن نكون أفرادا**"[2]، هنا لاحظ "باومان" أنه فيما مضى كان يصعب اختراق الجماعات البشرية حتى برزت الحداثة السائلة، وأصبح بذلك التّملّص من الجماعة البشريّة "**ما هو أمر صعب يمثّل صعوبة الانضمام إليها**".[3]

إنّ النّزعة الفردانيّة يتصوّرها الواقعي هي بمثابة ضعف وهشاشة للعلاقات الاجتماعية، فسيادة هذه النزعة وتحكّمها في شرائح المجتمع يؤدّي إلى غياب التكوينات الذاتية المختلفة والنظام الداخلي فيها يشوبه العشوائية التي تخلق الفوضى والتصادمات، وهو ما جعل الحداثة السائلة تعطي للفرد حريته في تسيير شؤونه لكن في مقابل ذلك يبقى متحملا ومسؤولا عن آرائه.

---

[1] – نفسه، ص 83.

[2] – زيغمونت باومان، **الحياة السائلة**، مصدر سابق، ص 41.

[3] – زيغمونت باومان وآخرون، **قوة الكلمات –حوارات وأفكار–**، مصدر سابق، ص 23.

تظهر سلبيات هذه النزعة كذلك في بروز تفكّكات تعاني منها البنى الاجتماعيّة ليتم تحويل فكرة الجماعة إلى فكرة الشبكة "Network" التي مثّلت التّفاعل الدّائم للاتصال والانفصال"[1]، وعلى حدّ تعبير "باومان" "الأشخاص الذين لا يستطيعون التواصل مع بعضهم واقعيا، ولا يمكن أن تنشأ بينهم صداقات عبر الانترنت بسرعة بمثل ما يكون التعرف سريع بقدر ما تنكسر بسرعة.[2]

في الأخير يعود الفضل إلى هذه النّزعة في الكشف عن الإنسان السيولي باعتباره حرّ ومسؤول وسيّد قراراته يسعى لتحقيق مصالحه الشخصيّة، فبعد أن كان الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن بيئته الاجتماعيّة التي تقوم على عادات وتقاليد وهويات ثابتة أصبح الإنسان يعيش حالة الاغتراب مع ذاته ويسعى إلى تعلّم أساليب التعايش مع الآخر في مجتمع الفردانيّة.[3]

في عالم الحداثة الذي يقوم على ثقافة الاستهلاك والسوق تضعف فيه الروابط والعلاقات، حيث يسعى الفرد خلالها تجنّب الآخر الغريب وتوقع السوء منه مما يؤدّي الشك الذي يضرب بعمق العلاقات الاجتماعية، فبعد أن كان الآباء يحذّرون أبناءهم في السابق من التحدّث إلى الغير أصبحت هذه الجملة هي المبدأ الذي تقوم وفقه العلاقات الاجتماعية في عصر السّيولة.[4]

---

[1] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 31. نقلا عن: بوصبع وليد أكرم، من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة عند زيغموند باومان، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022، ص 59.

[2]– ytte Holmaqvist, **Modernity and postmodernity in Zygmunt Bawman, Sthoughts**, https://academia, edu/ modernity and podtmodernity in Zygmunt Bawman's thoughts, op cit.

[3] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، ص 240.

[4] – رجاء طه محمد القاضي القحطاني، **رؤية نقدية لنظرية السيولة لزيغمونت باومان**، مجلة كلية الحدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جدة، ع 29، د ت، ص 462.

المبحث الثالث: الإنسانية وتحوّلاتها فيما بعد الحداثة

I- أزمة المشاعر في زمن السيولة:

المنظومة الحداثية مسّت جوهر العلاقات وحوّلتها من علاقات صلبة والتي تميّزت بها هذه الحقبة لتتحوّل بعد ذلك إلى علاقات هشّة في زمن الحداثة السائلة، ويعد الحب أحد أكثر العلاقات تأثرا بهذه السيولة، حيث تحوّل بفعل المجتمع الاستهلاكي إلى شيء فردي منفعي يسعى لتحقيق اللذة والمتعة[1]، وأصبح بذلك حب لحظي مؤقت وعابر يبحث عن اللذة اللحظية.

يرجع "زيجمونت باومان" ذلك إلى تفكّك ودمار العلاقات الوجدانية وغياب أعمدة الحياة العاطفية، إذ أنّ الإنسان الحداثي بات دائم المعاصرة والانغماس وراء الرأسمالية التي توفر له بدورها اللّذة والنشوة والمتعة، ظنا منه بانه قد استطاع بلوغ الحياة المثالية، لكنه لم يعِي أنه بذلك قد دخل عالم الصلات العابرة (عالم النفايات) كما يسميه "باومان" عالم يحتاج لوجود خبير نفسي يسيّر حياته ويخبره كيف يقيم علاقات طبيعية في الزمن المتسم بالتغير والتنوع باستمرار، وتصبح بذلك الصّلات بين الأفراد كالسلع تماما يمكن الاستغناء عنها في أي وقت، وبالتالي "**يمكن الاستغناء عن كل الصلات مثل منتج تم استهلاكه**"[2].

إلى جانب ذلك نجد أنّ الحب الأفلاطوني (الصلب) لا يتحقق إلا من خلال الإشباع الحب الفردي بالإيمان والتواضع والصبر والشجاعة[3]، بمعنى أنه يكون في خدمة المحب بدون أي تملّك أو استحواذ، فهو يجمع بين شخصين لا يمتّوا لبعضهم البعض بأي صلة لا في الطّباع ولا حتى في الصفات، ومع ذلك تنشأ بينهم قصص تتحوّل لملاحم، على سبيل المثال: قصة "روميو وجولييت"، وكذا "أنطونيو وكليوباترا" و"مجنون ليلي"، لكن بوجود ثقافة

---

[1] – همت بسيوني عبد العزيز محمد، **تغيير مفهوم الحب في ظلّ الحداثة السائلة: دراسة من منظور البنيوية التكوينية عند لوسيان جولدمان**، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، ع 26، جامعة كفر الشيخ، 2000، ص 497.

[2] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص 18.

[3] – نفسه، ص 44

مثل ثقافتنا الاستهلاكية تزول تلك الخصال ويزول الحب ويصير بذلك عبارة عن منتجات جاهزة للاستخدام الفوري[1]، فلم يعد يهدف للحفاظ وحماية الصلات والبحث عن الاستقرار وإقامة علاقات صادقة مع الطّرف الآخر، وإنما هو عبارة عن عقليات قصيرة الأمد بدل عقليات طويلة الأمد، فمقولة " **تعاهدنا ألا يفرّقنا إلا الموت** "[2] صارت مقولة قديمة ونادرة، فالشريكان بعدما كانوا على وداد واتّفاق أصبحا لا يطيقان بعضهما البعض، وحكم على تلك المشاعر بالفوضوية والعشوائية كونها تقوم على المصلحة الشخصية، وذلك يعود لفقدان الإنسان الحداثي الرومانسية في علاقته العاطفية، فهو لا يملك الوقت للجلوس مع شريكه ومناقشة أمور حياته[3]، إذ همه الوحيد هو تحصيل الربح فحسب وتعويضه بأشياء مادية كالهدايا إلخ...

خلقت فكرة التحرر علاقات مؤقتة بين الأفراد في ظل الممارسة الجنسية إذ لا وجود لأي قيود أو وثائق تقيدهم، ومن هنا نجد أن المشاعر قد تحررت من تلك الروابط الصلبة فأصبحت بذلك تسعى لتحقيق أعلى درجات اللذة والمتعة وتحويل المترابطين على مستهلكين[4].

فضلا عن ذلك، يرى باومان أن الحب في المجتمعات الغربية يقوم على عدة أنماط، ومن بين هذه الأنماط ما يسمى بعلاقات الجيب العلوي، وهي تلك العلاقات التي يمكن إخراجها عند الحاجة وعندما يحتاجونها يضعونها في أسفل الجيب، وما يميز هذه الأخيرة أنّها حلوة وعابرة[5]، وتكمن حلاوتها في وعي الشريكين كونهما لا يضطران لبذل أي مجهود للمحافظة على العلاقة، وإن ما جعل من جاذبية الزواج تقل باعتباره رابط اجتماعي قوي

---

[1] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص 44.

[2] – زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 215.

[3] – فيونا أتوود، **الحب السائل: هشاشة الروابط الإنسانية ... حوار مع زيجمونت باومان**، تر: محمد العربي العياري، https://hekmah.org، 2023/01/26، 3:30 مساءا.

[4] – عبد الإله فرح، **الحب الافتراضي : مقاربة سوسيولوجية**، مركز نهوض للدراسات والنشر، د.ع، 2019م، ص 11.

[5] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص56.

وأساسي في المجتمع كونه يبني ويوجه ويدعم إلاّ أنه قد تغير هذا المفهوم وبات عبارة عن ترابط سريع قصير المعاشرة، فعلى سبيل المثال : فكرة العيش في بيت واحد مسموحة للرجل أن يعيش مع المرأة لفترة معينة من أجل التعارف ومن ثم بإمكانهما الزواج إذا ما حدث التوافق بينهما، ولعل المعاشرة أهم ميزة تميز بها الحب السائل الذي فكك الارتباط العاطفي القائم على الزواج.

علاوة على ذلك، أشار زيجمونت باومان إلى أن تفكك هذه العلاقات العاطفية قد خلقت مشكلة اجتماعية وضعت روابط القرابة في مأزق، وجعلها ضعيفة وهشة، فبعدها كانت قائمة على الهوية المشتركة استبدلت في عصر الحداثة السائلة إلى مصالح مشتركة وبعد التفكيك الجذري للقرابة أحد أهم الأسباب الرئيسية لانتهاء الحب الرومنسي[1].

فسابقا كانت هذه الروابط خاضعة لسلطة الأسرة والعادات والتقاليد، إذ أن الأفراد لم يكونوا قادرين على التحرر في العصور الفكتورية باعتبار أن الزواج كانت توثقه الأسرة فهو لم يكن مجرد تجربة شخصية تلقائية[2].

بالإضافة إلى ذلك، نجد الحب الذي تحدده الأسر والذي مارسته طبقة النّبلاء والأرستقراطية حتى حدود أواخر ستينيات القرن الماضي، هو الشيء الوحيد الذي تنظّمه الأسرة وتضعه في مساره ومكانه الاجتماعي المناسب[3]، وعليه فإنّ العلاقات الأسرية بعدما عرفت التّحرّر والتغيّر غاب دورها الفاعل في الحفاظ على العلاقات وتماسكها وتوجيه سلوك الأفراد، وانكمشت وراء الرّعاية الصحية والاجتماعية، فهي لم تعد الدّاعمة والمربية، ويعبّر "باومان" عن ذلك قائلا: "**لقد انتهى صلاحية هذا التعريف الرومانتيكي بسبب التفكيك**

---

[1] – رجاء طه محمد القاضي القحطاني، **رؤية نقدية لنظرية السيولة لزيجمونت باومان**، مرجع سابق، ص 465.

[2] – إيريك فروم، **فن الحب : بحث في طبيعة الحب وأشكاله**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة للنشر، د.ط، بيروت، 2000م، ص12.

[3] – أولريش بيك، إليزابيث بك غرنز هايم، **الحب عن بعد أنماط حياتية في عصر العولمة**، تر: حسام الدين بدر، منشورات الجمل، د ط، بيروت، 2014، ص 85.

الجذري لأبنية القرابة التي كانت تدعمه وكان يستمد منها قوّته وحيويّته وأهميّته الخاصّة" وهو ما جعل العلاقات سهلة التّصدّع والزّوال بين الشّريكين.

يرصد لنا "باومان" بأن الوقوع في الحب مهارة يتعلّمها الإنسان ويتقنها بكثرة التّجارب والعلاقات العاطفيّة، حيث يعتقد أنّ الحب الثاني أجمل من الحب الأول، ولكن في نظره يبقى هذا مجرّد وهم، حيث تمثل تلك التّجارب أحداث منفصلة وقصيرة صادمة مقترنة بزوالها وهشاشتها، وبذلك "**إن المهارات المكتسبة هي مهارات الإنهاء السّريع**"[1]، وهو يتجلّى بوضوح مثلا في فيلم "Midnight paris"، كيف ينتقل البطل من تجربة إلى أخرى ويصفها بعلاقات حب حقيقية وليست ممارسة جنسية.[2]

فضلا عمّا سبق ذكره، يتحدّث "زيجمونت باومان" عن العلاقات الافتراضية القائمة على شبكة الانترنت، وما يميّزها أنها تختلف عن تلك العلاقات الالتزامية القائمة على العهد والوفاء، حيث يسهل الولوج إليها والخروج منها، ويكون فيها إشباع وإرضاء أكبر، كما أنها أنيقة وسهلة ونظيفة، وتبقى فاتحة المجال للرّحيل بشكل هادئ ومسالم، وبالضّغط على زر الحذف يمحى الطّرف الآخر ويعود لبناء حياة جديدة بدون تأنيب الضمير وبدون ألم، وعليه فالأنترنت قد سهّلت الوصول للأشخاص، عكس الماضي أين كان الفرد يمضي شهورا لمعرفة فتاة أُعجِب بها[3]، أما الآن فإن مواقع التواصل الاجتماعي قد سهّلت التواصل والتعارف وكان لها أثر في نشوء علاقة بين الرّجل والمرأة.

أصبحت المشاعر في زمن السّيولة كما قالت "كاترينا جارفي" "**التقاء العيون في غرفة مزدحمة وتشتعل شرارة الجاذبية وتتجاذبان أطراف الحديث ويرقصان، يتناولا الشراب**

---

[1] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص 12– 13.

[2] – أحمد نبوي، **الحب السائل: لماذا يفشل جيلنا في الحب**، at.comhttps://www,ida 2 ، 2023/02/18، الثانية مساءً.

[3] – إسلام كمال، **أزمة العلاقات العاطفية: لماذا أصبح عصر الحب قصيرا جدا**، https://www.aljazeera , netmidia، 2023/01/14، 17:13 مساءً.

ثم يسأل عندك أم عندي؟ ولا يلقي بالا لما يحدث حتى تتحوّل ليلة واحدة أو أسبوع أو أشهر أو سنة".[1]

من هذا المنطلق نستنتج أنّ الحب في زمن السيولة لم يعد محكوما برباط الإلزام والثبات والأبدية، بل سار في سيولة دائمة، فتحرر العلاقات من الوعود التي كانت في زمن الحداثة الصلبة خلقت علاقات لحظية مؤقتة تسعى لإشباع الرغبات الجنسية فحسب، وكان للتحرّر أثر بالغ في تفكّك العلاقات الأسرية التي أصبحت تعاني من الهشاشة والانكسار، وبذلك انهارت القرابة التي كانت تمثل أساس الحب الروماني، كل هذا يعود حسب "باومان" إلى سيادة منطق المتلازمة الاستهلاكية، وعلى هذا يصبح الحب كالسلعة تماما يعبر في ذلك قائلا: "**فعلاقة الحب مثل السلع الاستهلاكية الأخرى تتطلّب الاستهلاك الفوري، (فلا تحتاج إلى تدريب إضافي ولا إعداد طويل) والاستعمال مرّة واحدة**"[2]، وبذلك نجد أنّ الحب تجرّد من قيمه الأخلاقية وبعده الإنساني ما نتج عنه علاقات مؤقتة وعابرة سرعان ما تنتهي بمجرّد تغيّر الظّروف والأحوال.

II- مشكلة الثقافة والمجتمع الاستهلاكي:

اهتمّ المفكّر البولندي "زيجمونت باومان" بمسألة الثقافة نظرا للتغيّرات والتّطوّرات التي لحقتها في الزمن السائل، إذ تعدّ مرحلة القرن العشرين من أهم القرون التي عرفت تغييرا جذريا في ملامح الفكر الإنساني، وقد اكتسى مفهوم الثقافة في عصر التنوير حلّة جديدة قلبت العديد من الأوضاع، فلم تعتبر مجرّد أداة لحفظ البناء الثقافي وتماسكه، بل تشكّل عامل ضروري يحقّق تطوّر وازدهار المجتمع نحو وضع إنساني عالمي، ما يجعلها ترتبط ارتباطا وثيقا بحركة التنوير التي نهضت بالعقول من الظّلام إلى النّور، وبالتالي التّخلّص من الجهل والخرافات.[3]

---

[1] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص 45.

[2] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق ، ص 47.

[3] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 15- 16.

إنّ المشروع التنويري استخدم الثقافة باعتبارها نشاط يساهم بشكل كبير في بناء الأمم والدّول، وقد خصّ "باومان" هذه الأداة بالطّبقة المتعلّمة من أجل ابتكار أبنية صلبة تحدّد إيقاع الحياة، فبعد أن كانت تسعى لتغيير الأوضاع أصبحت وسيلة تحافظ على التوازن ، إذ "**صارت الثقافة اسما للوظائف المعهودة لأجهزة الحفاظ على الاستقراء والتوازن والاتجاه، ومن ثم فهي غير دائمة بالقدر نفسه**"[1]، فوظيفتها الآن الحفاظ على معاييرها وأسسها في هذا الوضع المتغيّر والمتحوّل.

إنّ الثقافة في مرحلة الحداثة الصّلبة كانت منغلقة على نفسها ومحصورة في مجالات ضيّقة عند كل أمّة، لكن تطوّرها وانفتاحها على الثقافات المختلفة بفعل العولمة سهّل تبادلها وتغيّرها ما جعلها تتّسم بالمرونة والتغيّر والذّوبان"[2]، وفي الوقت نفسه بدأت الدولة تتخلّى تدريجيا عن أدوارها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، كل هذه العوامل أدّت إلى انتقال الثّقافة من مرحلة اليقين إلى مرحلة اللايقين، وحسب "باومان" فإنّ هذه الأخيرة خلقت العديد من الأزمات التي ساهمت في تصدّعها وتفكّكها، إذ أصبحت الثّقافة الغربية مجرّد ثقافة استهلاكيّة[3]، ويعبّر في هذا الصدد قائلا: "**وخلاصة القول ليس لثقافة الحداثة السائلة من شعب تنيره وترتقي به ولكن لها زبائن تغريهم، فالإغراء على عكس من التنوير والارتقاء بالنفس ليس مهمة واحدة ومنفصلة يقوم بها المرء مرة واحدة وللأبد، بل هو نشاط مفتوح لا نهاية له**"[4]، ففي ظلّ السّيولة نجدها مجرّد سلعة مثلها مثل باقي السّلع تباع وتشترى في الأسواق؛ وهذا باستخدام التّكنولوجيا المعاصرة عن طريق الإعلام والاتّصال

[1] – نفسه، مصدر سابق، ص 17– 18.

[2] – إدغار موران، **هل نسير إلى الهاوية**، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، د ط، 2012، ص 92– 93.

[3] – سعودي كحول، **التغير الجذري لمفهوم الثقافة في زمان السيولة عند زيغمونت باومان**، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، د ت، ص 07.

[4] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 32.

كالإذاعة والتّلفزيون والمجلاّت ... الخ، فالثقافة التي أنتجتها الحداثة وبمختلف مكوّناتها الفنيّة والأدبيّة وحتى المعرفية ما هي إلا منتوج مصنوع يتم التّرويج له في الأسواق.[1]

إضافة إلى ما سبق، تقوم فكرة الثّقافة حسب "باومان" على الموضة، حيث يبيّن لنا أنه في كل حقبة من حقب التاريخ وفي كل أرض من العمران البشري تلعب ثقافة الموضة دور المشغّل الرّئيسي في إعادة تشغيل التّغيّر الدّائم، يعبّر في ذلك: "**إنّما تساعد الجهود المتناغمة الكبيرة التي تقوم بها السّوق الاستهلاكيّة على تمكين الثقافة من الخضوع إلى منطق الموضة، ويصبح من الضّروري –حتى يكون المرء على طبيعته، ويراه الناس على طبيعته**"[2]، معنى هذا أنّ سمة التّغيّر قد طغت على الثقافة بحيث لم يعد هناك ثقافة واحدة بل ثقافات متعدّدة في مجتمع واحد، فلكل فرد ثقافة خاصّة به تمليها عليه ثقافة اقتصاد السوق، وإنّ هذا التغيّر الذي فرضته الموضة قد غيّر ملامح الفكر الإنساني، فلم يعد هو نفسه بل أصبح إنسانا آخرا فاقد لهويّته الشخصية، "**ففي عالم الموضة، نجد أن ما ((يجب)) على الناس أن يرتدوه أو ما يجب أن نراهم وهم يرتدونه يتحوّل إلى ما ((لا يجب)) عليهم أن يرتدوه أو ما يجب أن نراهم وهم يرتدونه يتحوّل إلى ما ((لا يجب)) عليهم أن يرتدوه بسرعة تفوق الزمن الذي يستغرقه المرء في فحص دولاب الملابس، وأسرع من استبدال أرضيّة خشبية مزخرفة بسجّادة**"[3]، وبهذا نرى أنّ الثقافة فقدت وظيفتها وأصبحت خاضعة لمنطق الموضة لاسيما أنها أساس التّقدّم.

علاوة على ذلك، يرى "باومان" أنّنا الآن نعيش في حرب ضد النّماذج؛ أي حرب ضدّ أدوات التّوازن التي تساعد على الامتثال، بمعنى فرض الرّتابة والاحتفاظ بالقدرة على التّنبّؤ وإن هذا ما يسري في المفهوم النماذجي للثقافة، إلا أنّ المثقف تخلّى عن نموذج

---

[1] – كحال أبو بكر، **أزمة الثقافة في عصر الحداثة: لما تغدو الثقافة سلعة**، مجلة التدوين، ع 10، جامعة وهران، 2018، ص 16.

[2] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 30.

[3] – زيجمونت باومان، **الحياة السائلة**، مصدر سابق، ص 118.

العدالة الاجتماعية وصار بذلك يبحث عن الغاية، فليس هناك طريق للغاية، وتحوّلت الغايات إلى وسائل، وصرنا اليوم أمام اليوتوبيا التي تجعل الوسيلة هي الغاية.[1]

يزعم "باومان" أننا أمام حياة متمركزة حول الموضة المراوغة دوما على عكس اليوتوبيات الماضية، إذ لا تمنح الحياة معنى، فهي تساعد على نفس الأشياء المتعلّقة بالحياة من العقول وتكون بذلك قد حوّلت الحياة إلى سلسلة من الهموم[2]، ما جعله يرفض ثقافة لا تنظر للوجودية ولا تتقيّد بالماضي ولا تسعى لرسم مستقبل منشود، فهي تركّز على اللّحظة الرّاهنة وتضع قطيعة خاصة مع الماضي وقطيعة مع المستقبل.[3]

ضف إلى ذلك يوافق "باومان" الفيلسوفة الألمانية "حنا أرندت" حول الخطر الذي تعرفه الثقافة نتيجة التّغيّر المستمر في عرض الأشياء والاستمتاع بضرورات الحياة وضرورة فصل كل ما هو استهلاكي عن كل ما هو ثقافي من أجل تحرير الواقع من الأزمة التي يعيشها الإنسان المعاصر.[4]

أصبحت الثّقافة في عصر الحداثة السائلة تمثل ثقافة كونية على حدّ تعبير "زيجمونت باومان" خاضعة لوسائل الإعلام والاتّصال، ما خلق للعالم علاقة تجاذرية بين وسائل الاتصال والثقافة، ومن أبرز الوسائل الحديثة المؤثرة في ثقافة الإنسان الحاسوب الذي أدّى بدوره إلى بروز الثقافة التفاعلية باعتبار أنّ الثقافة تعي وسائل الاتصال وبالتالي تنشيط حركة التفاعل بين الأفراد وهو ما يسهل انصهار الثقافات بعضها ببعض.[5]

---

[1] – حجاج أبو جبر، **مراجعة كتاب الثقافة السائلة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، د.ب، 2018م، ص 13-14.

[2] – نفسه، ص 15.

[3] – محمد هشام البطاط، **الثقافة السائلة زيغمونت باومان (الحداثة وما بعد الحداثة)**، سلسلة السيولة، ج 08، مقاربات معرفية.

[4] – سعودي كحول، فايد قوار، **التغيّر الجذري لمفهوم الثقافة في زمان السيولة عند زيجمونت باومان**، مرجع سابق، ص 07- 08.

[5] – شرارة حياة، بوعمامة العربي، **واقع الهويات السائلة في سياق المثاقفة الجديدة**، دراسة تقييمية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، مج 05، ع 01، جانفي 2020، ص 682- 694.

ومما سبق ذكره، فإن الثقافة في الزمن السائل لا تهدف إلى تربية المجتمع وتهذيبه، بل تسعى إلى خلق إنسان زبون الذي تغريه السلع الجديدة استنادا إلى قول "باومان": "**فليست وظيفة الثقافة هي إشباع الحاجات القائمة، بل خلق حاجات جديدة تسعى إلى الإغراء**"[1]، ما جعل الإنسان الحداثي يرغب في الحصول على كل جديد واستهلاكه، فللثقافة السائلة زبائن تغريهم ويتمحور هدفها في منع الإحساس بالرّضا لاسيما من الإشباع الكامل والنهائي الذي لا يترك مجالا لمزيد من الحاجات والنّزوات الجديدة التي لم تتحقّق بعد، والعالم اليوم متمركز حول النّزعة الاستهلاكية وتمجيدا للسلعة الجديدة ما جعل المثقفين يعيدوا تشكيل ثقافاتهم ومفاهيمهم وفق تحوّلات الحداثة.

III- مشكلة الأخلاق السائلة:

كان للمشروع الحداثي أثر على مجمل الحياة الإنسانية، حيث شكّل التّمركز حول إمكانات العقل الغربي العديد من التّغيّرات للمقولات والمفاهيم التي خلقت فيما بعد حياة مليئة بالخوف والقلق والاضطراب وكذا غياب القيم وتجرّدها من طابعها الرّوحي، الأمر الذي دفع "باومان" إلى البحث ودراسة مشكلة الأخلاق، حيث ألغت الحداثة الغربية الأخلاق؛ ما أدّى إلى تأسيس أخلاق متعددة تقوم على رغبات الذّات وسيادتها في الكون من الناحية المعرفية والوجودية والأخلاقية، وصار بذلك الفرد مصدر كل شيء وأساسا لكل القيم من أجل بلوغ سعادته.

نجد أنّ "باومان" قد قام بدراسة القيم التي انتشرت في المجتمعات المعاصرة باعتبار أنّ السّيولة قد تسرّبت إلى كل مناحي الحياة البشرية بما في ذلك القيم الأخلاقية وتعزّزت أكثر مع العولمة* التي طغت عليها، فلم يعد هناك قيم ثابتة تخضع لمعايير ساكنة وإنما هي

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 23.

* – ** **العولمة:** تعني ببساطة جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه أو تطبيقه، وهي كذلك التي تقوم من خلالها المؤسسات سواء التجارية او غير التجارية بتطوير تأثير عالمي أو ببدء العمل في نطاق عالمي**. ينظر: مصطفى

في حركيّة دائمة وتغيّر ذلك أنّ الذّات لم تعد تملك أي معنى أو وزن إيتيقي[1]، يعبّر في هذا الصدد قائلا: "**أنّ إنكار الذّات ومحو إنسانية الإنسان ومحو هويته من الوجود والتضحية بدوافعه الشخصية من أجل السلطات أو المؤسسات، فالاستعداد لمثل هذا النّوع من التّطرّف بالنّفس فضيلة أخلاقية تلغي كافة الوامر الأخلاقية الأخرى، فتنفيذ الأوامر هو أعلى درجات الانضباط الأخلاقي وإنكار الذّات**".[2]

فالهوس بهذه الأنا حسبه جرد الذّات الإنسانية من الضّمير الأخلاقي لها، وهو ما يظهر لنا بوضوح في استغلال النازية لليهود كأنهم سلع وأشياء لتحقيق أغراض المجتمع الغربي وحسب "باومان" يعود هذا كله إلى غياب المعايير الأخلاقية واستبعادها، فالاستعمال اللاعقلاني للتقنية جعل التعامل مع الإنسان وفقا للرؤية المادية الصرفة، وبذلك فإن هذه العقلانية تعمل بلا ضمير أو وازع كونها ترمي إلى محو الذّات والهوية"[3]، وقد جاء على لسان "المسيري" أنه في هذه الفترة "**تمّ ضرب الذّات الإنسانية وتفكيكها تماما ولم يبق من الإنسان شيء**"[4]، باعتبار أنّ التعايش الإنساني يقتضي حسب وجهة نظر "باومان" الامتثال إلى الأوامر الأخلاقية واحترام الغير وحمايته "**فالأخلاق هي شرط البقاء**"[5]، ويوافق باومان

حسيبة، **المعجم الفلسفي– أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية المتداولة في العالم وتعريفها–**، دار أسامة للنشر والتوزيع، د ط، الأردن، 2012، ص 365.

[1] – عفاف جدراوي، **الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيغمونت باومان – أفكار وآفاق–**، مج 11، ع 01، 2023، ص 85– 86.

[2] – زيجمونت باومان، **الحداثة والهلوكست**، مصدر سابق، ص 77– 78.

[3] – رقية طيايرة، زتيلي خديجة، **أزمة التعايش عند زيجمونت باومان**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 10، ع 01، 2022، ص 628.

[4] – عبد الوهاب المسيري، **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، مج 01، دار الشروق، ط 01، القاهرة، 2002، ص227.

[5] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، مصدر سابق، ص 118.

المفكر "إدغار موران" بأن منظومة قيم الحداثة الغربية قد انقلبت وتجرّدت من معانيها وانتهت إلى خيبة أمل وبالتالي فشلها وخلق العديد من الأزمات.[1]

برزت فكرة اللامبالاة الأخلاقية حسب باومان في هاته الفترة نظرا للتطوّراتالتي ظهرت مع الثورة الصناعية، فلم يعد للإنسان أي معايير توجه سلوكاته الأخلاقية، ففي نظره أن "**اللامبالاة الأخلاقية وصلت أوجّ قوّتها –وخطورتها– في مجتمعنا الحديث الصناعي الذي يهتدي بنور العقلانية والتكنولوجيا الفائقة**"[2]،حيث تفشّت العديد من السلوكات اللاأخلاقية وانتشر القتل والخداع والكذب وأصبح كل ما هو لا أخلاقي مستباح وأخلاقي، فسيادة العقل الحداثي خلق العديد من الأزمات وحسب "باومان" يقوم هذا العقل على قاعدتين رئيسيتين؛ الأولى: "**فهي الاتجاه نحو تحييد العقل الاجتماعي وإخراجه من القانون الأخلاقي، وذلك بالتهوين من أهمية المعايير الأخلاقية**"، بمعنى أنّ هذا سيساهم بتجريد الفرد من حسه الروحاني والأخلاقي، وبالتالي قمع البواعث الأخلاقية، أما الثانية: "**فهي تجريد النفس البشرية من المسؤولية الأخلاقية عن تبعات أفعالها**"، فخلو الفعل الإنساني من القيم الأخلاقية أدّى ذلك إلى العمى الأخلاقي[3]، فحادثة الهولوكست تكشف بشاعة الأنموذج الإنساني الحداثي المتجرّدة من أي فاعلية أخلاقية جعلته لا يشعر بتأنيب الضّمير عند القيام بأفعال لا أخلاقية تحكمهم النّزعة العدوانية"[4]، وعليه فإن العقل الغربي عندما وجد نفسه متسيّدا على الكون أقام مشاريع لإبعاد الآخر وتهميشه من خلال استعمارات واحتلالات تكلّلت بانتصارات عسكرية وهيمنة ثقافية وانتعاش اقتصادي، كل هذا تسبب في تأسيس ذات نرجسية تحتقر الاخر.

---

[1] – عفاف جدراوي، **الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيغمونت باومان**، مرجع سابق، ص 90.

[2] – زيجمونت باومان، **الحداثة والهولوكست**، مصدر سابق، ص 295.

[3] – زيجمونت باومان، **الحب السائل**، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2016، ص 123.

[4] – زيجمونت باومان، **الحداثة والهولوكوست**، مصدر سابق، ص 80.

يكشف "زيجمونت باومان" عن الفرق بين أخلاق الماضي وأخلاق الحداثة السائلة التي لا تعرف الثبات والاستقرار وهو ما جعلها تتصدّع بتصدّع الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها، والتّشريعات القديمة ما هي إلا مجرّد أساطير فقط يجب القضاء عليها وتجاوزها والأخلاق بتعبيره ما هي إلا حكايات يمكن سردها وفق مصلحة الفرد وغياب الخوف في الحكايات الأخلاقية جعل الأخلاق تتغيّر من شخص إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، ما جعل الإنسانية تمتثل للتّغيّر والتّنوع باستمرار، فبغياب الخوف غابت الصرامة الأخلاقية[1] الأمر الذي دفع "باومان" إلى إعادة تحيين وبعث الأخلاق من جديد باعتبارها ملاذا للإنسان المعاصر لما لها من دور فعّال في ضمان خلق فرصة للتعايش المشترك للأفراد، فهو قد شدّد على ضرورة عودة سؤال الأخلاق وفتح مجال البحث فيها من جديد وتجسيدها عمليا[2] يمكن في هذا السياق الاستئناس بموقف المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" الذي يؤكد على ضرورة الأخلاق " **فالإنسان بقدر ما هو يزداد أخلاقيته يزداد إنسانيته** "[3]، كونه يتحدّد أساسها وما يميّزه عن باقي الكائنات.

اعتبر "إيمانويل ليفيناس" من الفلاسفة البارزين الذين يدعون إلى أخلاق الغير، كون الاعتراف بالآخر شرط ضروري لتأسيس علاقة أخلاقية معه من خلال فتح باب التفاهم والتحاور والتّخاطب واللاعنف والمسؤولية المتبادلة، فـ "ليفيناس" قد أعطى قيمة كبيرة للآخر بعد أن فقد مكانته وعانَ من تلك الأفعال اللاأخلاقيّة[4]، وعلى هذا النحو يركّز "باومان" على أهمية المسؤولية في تأطير الأخلاقيات الجديدة من أجل توجيه السّلوك الإنساني نحو قيم

---

[1] – فايد فواز، سعودي كحول، **العمى الأخلاقي في زمان الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان**، مجلة المعيار، مج 26، ع 05، 2022، ص 137– 138.

[2] – عفاف جدراوي، عبد الغني بوالسكك، **الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة**، زيجمونت باومان قارئا لإيمانويل لفيناس، مجلة المقدمة للدراسة الإنسانية والاجتماعية، مج 07، ع 02، 2022، ص 27.

[3] – طه عبد الرحمن، **الحوار أفق للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، لبنان، 2013، ص 58.

[4] – زروقي الدارجي، **أخلاق المسؤولية وعار الصهيونية –قراءة في أخلاق الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس–**، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ط 01، 2020، ص 77.

أفضل، وهو في وضعه لهذه المعايير يتأثر بدرجة كبيرة بالتّأملات الليفناسية، هذه المسؤولية هي الضمان الوحيد لاستمرار العيش، فإحياء الإنسان يتطلّب حضور الغيرية التي تستجيب لنداء الآخر من خلال تحمّله لمسؤوليته.[1]

وعليه فإن "باومان" قد أخذ على عاتقه مهمّة إنقاذ البشرية وانتشالها من عالم غابت فيه كل المعاني الإنسانية من محبة وتراحم وإخاء وتسامح، هذا الوضع الرّاهن المقلق جعل الفرد يعيش في خوف دائم واللاأمن، ما جعل "باومان" يشدّد على ضرورة التّشبّث بالقيم الأخلاقية لتحقيق إنسانيّته، فحسبه "**إنّنا نضفي الإنسانية على ما يحدث في العالم وعلى ما يحدث داخلنا بالحديث عنه فقط وأثناء الحديث عنه نصبح بشرا**".[2]

وخلاصة القول، أنه على الإنسان الوعي بإنسانيّته المسلوبة بفعل النّزعة الاستهلاكية التي غيّبتها التكنولوجيا والتقنية أين استبدلت القيم الرّوحية بقيم تجارية استهلاكية تخدم المصالح الخاصة للأفراد، والوجود الإيتيقي يبقى مرتبطا بروح الإنسان ووعيه لها، ومن خلال ذلك يتحقق وجوده وكينونته.

[1] – عفاف جدراوي، عبد الغني بوالسكك، **الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة** –زيغمونت باومان قارئا لإيمانويل ليفيناس، مرجع سابق، ص 31.

[2] – زيجمونت باومان، **العلاقات في زمن الاستهلاك إنسان بلا روابط**، تر: فاطمة نسر، إصدارات سطور، 2004، ص 233.

الـفصـل الـثّــانــي:

تجلّيات الـهويّة في ظل إستراتيجيات ما بعد الحداثة من منظور "زيجمونت باومان"

المبحث الأوّل: قراءة سوسيولوجية في الهويّة

I- مفهوم الهوية: -في معناها اللغوي-

يحتلّ مفهوم الهوية مكانة هامة في أوساط المفكّرين والفلاسفة، حيث شكّل هذا الإقبال تنوّع وتعدّد دلالاتها وفروعها، وارتأينا أنه ينبغي علينا في البداية الإشارة إلى مدلولها اللغوي، إذ وردت في لسان العرب بأنها "**هويّة هوّة وقيل، الهويّة بئر بعيدة المهواة وعرشها سقفها المعميّ عليها التراب فيغمر به واطئه فيقع فيها ويهلك**"[1]، معنى هذا أنّ الهوّة مفهوم يضرب بأعماقه في الذّات.

وفي موضع آخر، يعرّفها الجرجاني بأنها "**الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق**".[2]

وقد وردت الهويّة كذلك في المعجم الفلسفي لمراد وهبة "**هويّة Identité, Identity تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، إلا أنها ليست تنطلق على الصادق، هي أيضا من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف، وهنا اسم، ولذلك ألحق بها الطرف المختص بالأسماء وهو الألف واللام، واشتق منها المصدر، فقيل الهويّة من الهو كما نشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرّجل**"[3]، ويتجلّى بوضوح هنا بأن لفظة الهويّة مشتقة من لفظ الهو.

فضلا عن ذلك، تعبّر الهويّة عن "**جمع هوايا، هويّة حقيقية مطلقة في الأشياء ولأحياء مشتملة على الحقائق والصّفات الجوهريّة: هويّة النفس الإنسانية، بطاقة هوية**

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج 15، د.د.ن، د.ب، د.س، ص 49.

[2] – الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، د س، ص 212.

[3] – مراد وهبة، المعجم الفاسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007، ص 667.

من النسوية إلى الهو"[1]، ومن هذا المنطلق فهي تمثل جوهر الشيء وحقيقته حيث تقوم على جملة من الثوابت التي تتغيّر وتتجدّد.

في معناها الاصطلاحي:

للهوية العديد من التعريفات، إذ يراها البعض بأنها "**مجموعة من الخصائص والمميّزات الأساسية الاجتماعية، الفلسفية، التي تدل بوضوح على حقيقة أو كيان قوم تجمعهم هذه الخصائص في المعارف زمكاني، فتميّزهم عن الآخرين، فهويّة الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها**"[2]، وتفسيرا لذلك فإن لكل حضارة مجموعة من الصفات التي تتّسم بها والتي تميّزها عن الآخرين حيث يظهر ذلك في عناصرها كالعقيدة واللغة والتراث الثقافي، الذي يحقق من خلاله اندماج الأفراد وانتمائهم للجماعة، وفي نفس الصدد يزعم "ألكس مكشللي" أنّ هذا المفهوم بقدر سهولة ضبطه إلا انه يبقى يشوبه نوع من الغموض، ففي نظره "**على الرغم من بساطة الظاهرية التي يبتدئ بها مفهوم الهوية فإنه بخلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد، فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة إنما حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغير وقد شرع الإنسان في البحث عن كينونته وذاته ليحدّد هويته**"[3]، باعتبار أنّ الهوية تنشأ مع الإنسان وتنمو معه وتتغيّر وفقا لمستجدّات العالم الذي يعيش فيه، فبها يستطيع الكشف عن ذاته المتفرّدة والمتميّزة عن الآخرين.

حريّ بنا التّطرّق كذلك، إلى المفهوم الذي أعطاه المفكّر والطبيب النمساوي "سيغموند فرويد" إذ قصد "**بدلالة الهوية الأنا الفردية الشخصية، ولها دور في تحديد الفرد لمن**

[1] – جبران مسعود، الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإعلام، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، لبنان، ط 7، 1992، ص 938.

[2] – محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط 01، دار النهضة، مصر، 1999، ص 06.

[3] – أليكس مكشللي، الهوية، تر: علي وطفة، ط 01، دار الوسيم، دمشق، 2012، ص 07.

يكوّنه وما سيكوّنه بحيث يكون المستقل المتوقّع امتداد واستمرار خبرات الماضي"[1]، وبذلك تصبح الهويّة ما هي إلا إدراك الفرد لذاته وكينونته باعتباره كائن يستطيع تدبير شؤونه وكذا خدمة الآخرين دون الانغلاق على نفسه، فضلا عن ما سبق، يعرّفها "ماكس فيبر" بأنها وعي الجماعة بالأصل المشترك، فهي جل التعبيرات الخارجية المألوفة لجماعة ما مثل: الرّموز والألحان، وهو ما يميز هويّة الجماعة عن سائر الهويات الأخرى، إذ تبقى هذه الأخيرة متحفظة بوجودها وحيويّتها وتماسكها مثل: القيم والتراث الثقافي، ومن جهة أخرى رأى "محمد عابد الجابري" أنّ الهوية تمثل حجر الزاوية في تكوين الأمم كونها تمثل تراكما تاريخيا طويلا[2]، وهي بذلك ليست بنية جامدة ولا معطى نهائي بدليل أنّ مفرداتها تبقى في تشكل وظهور من حين إلى آخر حسب نوعية الأنشطة الثقافية التي يمارسها الناس بحسب الظروف والتحدّيات التي يواجهونها.[3]

أما من الناحية السوسيولوجية فإن الهوية ترتبط ارتباطا وثيقا بكل ما هو اجتماعي حيث يرى "ريجارد جنكز" أنّ الهوية الاجتماعية تصور حول من نحن ومن الآخرون وكذلك تصوّر الآخرين حول أنفسهم وحول غيرهم، وهي تتكون في إطار التفاعلات الاجتماعية كما وتشترط عمل مقارنة بين الشعوب حتى تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم.[4]

على ضوء هذه التعريفات نصل إلى أنّ الهويّة كيان قوم ينطوي على مجموعة من الخصائص الأساسية التي تشعر الأفراد بالانتماء إلى جماعة معيّنة لها عقيدة ولغة وتراث ثقافي يميّزها، كما أنها كيان تاريخي خاضع للتّغيّر والتّطوّر والتّبدّل.

---

[1] – أسرف حافظ، الهوية والصراع مع الذات –دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم–، دار كنوز للمعرفة، الأردن، 2012، ص 29.

[2] – زهير مزلزة، أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة –بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي– الجزائر نموذجا، القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017/02/27، ص 3–4.

[3] – محمد محمد فرج حسانين، الشباب بين الهوية وتحقيق الذات، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، مصر، 2019، ص 34.

[4] – مهدي جعفر، الهوية وإشكالية الاختلاف، https://m,ahwar, org, 19–03/2023، 01:15 زوالا.

II- أنواع ووظائف الهوية:

تعدّ الهوية من أكثر المفاهيم استخداما في حياتنا الثقافية والاجتماعية كونها تشكّل رابطة روحية بين أفراد المجتمع، حيث تشعرهم بالانتماء وتميّزهم عن غيرهم بامتلاكهم لصفات مميّزة (اللغة، الدين، العادات والتقاليد)، كما ونجد أنها تضمن أبعاد جماعية وتمثل قاعدة مهمة للمجتمع، إذ أنّها تحظى باهتمام كبير من طرف دارسي سوسيولوجيا الجماعات الاجتماعية نظرا لأبعادها ووظائفها وتعدد أنواعها، ومن هذا المنطلق سنشير إلى أنواع ووظائف الهوية وهي كالآتي:

1- أنواعها:

1-1- الهوية الاجتماعية:

حيث نجد أنها تمثّل انتماء فئة جماعية لمنظومة اجتماعية تسمح لهم بالتّعرّف على الآخرين وتعريف أنفسهم من ناحية أخرى، فتأسست بذلك علاقات قوية تعمل على تحقيق وحدة وانسجام المجتمع من أجل الحفاظ على البناء الاجتماعي، هذا الأخير يمر بسيرورة مزدوجة من التماثل والتمايز كون الجماعة بحاجة للاعتراف بها ومدى حاجتها أيضا للتّمييز مع المجتمعات الأخرى، وهو ما يؤكد استقلاليتها، بالإضافة إلى ذلك، على الرّغم من أنها تبنى داخل الجماعات، إلا أنه يعاد بناؤها من خلال التفاعل مع الذين يتواجدون خارج الحدود، والذين يشكّلونها أيضا، ما يجعلها ترتبط ارتباطا وثيقا بصيغة الجمع "نحن"[1]، وعلى ضوء هذا فإن الهوية الاجتماعية تتكوّن حين يتفاعل الفرد مع الغير، ويعرف بذلك ذاته كونه جزء من المجتمع حيث يدرك الاختلافات التي ينظرها في الآخرين، وأيضا دلائل التشابه مع الغير، ولا يكون ذلك إلا من خلال التفاعل مع البيئة الاجتماعية، وهو ما يوافق عليه "كلود

[1] – بن قومار كريمة، الهوية من الفردي إلى جماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية ، مج 11، ع 02، ص 147.

دوبار" في قوله "**ليس هناك هوية للأنا دون هويت النحن**"[1]، وبوجود كل هذه العلاقات تتحقق كل الأهداف المشتركة.

يشير "جورج هربرت ميد" إلى فكرة هامة مفادها أنّ الهويات تتأسس على الأنا والآخر ويمكن أن نطبع ونرصد للآخر هويتنا وندرك انعكاسها، ما يسهّل عرضها على الآخرين فهي ليست مرتبطة بالفرد فحسب؛ بل هي نتاج عمليات اجتماعية تترجم عن طريق الانتماء وكذا المشاركة في الجماعة والمؤسسات الاجتماعية التي تبرز من خلال الفرد لمهامه المحددة اجتماعيا باعتبارها "**السلوك الذي يحدث بين الجماعات**"[2]، وعليه فإنّ الهوية الاجتماعية تبنى من خلال الجماعة التي تعدّ عنصرا أساسيا في تكوين الهوية، وليس للفرد الحرية في تحديد هويته في المجتمع الذي ينتمي إليه كونها تبقى رهينة انطباعات الآخرين حوله، فاذا هي ناتجة عن اندماج الفرد في محيطه الاجتماعي.

1-2- الهوية الفردية:

تتميّز الهوية الفردية بكونها هوية مستقلّة عن الجماعة، فهي ظاهرة فردية تتعلّق بفكر الفرد ذاته كشخص له قيمة وكيان يرغب في الاعتراف به باعتباره عنصر أساسي في الواقع فهو الوحيد الذي يوحد بين العلاقات بالمجتمع، كما ونجدها كذلك تتشكّل داخل المجتمع من خلال ما يدركه الفرد نفسيا واجتماعيا، ويتجلّى ذلك في اكتساب الفرد لهويّته وفق التجارب والخبرات الإجتماعية التي مرّ بها، فهو يبني نفسه عن طريق العناصر التي بنى فيها الآخرون تعريفهم الشخصي والاجتماعي[3]، ما يجعل الفرد المسؤول عن بناء هويته الخاصة، بحيث تكون متجانسة ومترابطة للذات، فهي تعدّ "**العمود الذي يجتمع به الأفراد وتتجلّى منه مواقف الأشخاص وثقافتهم وسلوكهم**"[4]،

---

[1] – كلور دوبار، أزمة الهويات، تر: رندة، بحث المكتبة الشرفية للنشر والتوزيع، ط 01، 2008، ص 41.

[2] – المهدي عثمان، الهوية العربية في ظل العولمة، ط 01، دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان، 2019ن ص 68.

[3] – بن قومار كريمة، مرجع سابق، ص 170.

[4] – المهدي عثمانن مرجع سابق، ص 69.

فضلا عن ذلك، يعدّ الباحث الأمريكي "إرك إريكسون" "Erik Erikson" – أخصائي في علم النفس – كأول باحث اهتم بالهويّة الفردية وذلك في عام 1950م، من خلال البحث الذي أجراه على المراهقين، حيث قام بتحليل مظاهر أزمة البحث عن الهوية الفدية أو الذاتية عند فئة العمر المتراوحة ما بين 12 و20 سنة، وقام بإنجاز بحثه على ضوء الثقافة الأمريكية ووصل إلى نتيجة مفادها أنّ الهوية الفردية ناتجة عن شعور الفرد بفردانيته، أي أنه هو نفسه وليس غيره، ويبلغ هذا الشعور ذروته في مرحلة المراهقة، ويبقى على ما هو عليه في الزمان ويشعر بوجوده المختلف عن غيره[1]، ما يعني أنّ الفرد في ممارسته لهويته يدرك ذاته وهو يتحرّك ضمن ثقافة الكلية والفردية، وتفصح الهويات الفردية عن نفسها عندما تتخذ صراعات الفرد الفكرية وعند القرارات المصيرية، فيدرك عندها الاختلافات بين المجتمع الذي يحتويه والمجتمعات الأخرى، ويصبح بذلك فكره فكرا شموليا متفتّحا على الجميع غير مقتصر على الثقافة السائدة فحسب.

1-3- الهويّة الثقافية:

نعني بالهوية الثقافية تلك المبادئ السامية النابعة من الأفراد والشعوب، فهي تمثل ذلك الكيان الشخصي والروحي والمادي للإنسان وتحسسه بانتمائه للمجتمع[2]، باعتبارها نظام يضم العديد من القيم والتصورات التي يتميّز بها المجتمع عن باقي المجتمعات الأخرى تبعا لخصوصياته، كما وتنمّي لديه الأساليب التي من شأنها أن تجعله فردا معبّرا عن الجماعة التي ينتمي إليها لما لها من خصوصيات وضوابط تحكمها.

فضلا عن ذلك، تتميّز عن الهويات الأخرى من خلال شموليتها كونها تضم مجموعة من العناصر السوسيوثقافية كالدين، اللغة، العادات والتقاليد والقيم ... الخ.

---

[1] – يوسف نصر، زينب مايدي، الهوية هيئة الانتقال من الهويات الفردية إلى الهويات الجماعية، مجلة الباحث الاجتماعي، ع 13، جامعة قسنطينة 2، 2017، ص 416.

[2] – زوغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص 94.

حيث أنّ كل فرد ينتمي إلى ثقافة معيّنة[1]، فيعي ويدرك بعمق خصوصية المجموعة البشرية التي يعيش فيها فيتشاركون بذلك مجموعة من الرموز والسلوكات والمعايير والبنى التنظيمية التي تميّزهم عن الجماعات الثقافية الأخرى.

علاوة على ذلك، تعبّر الهوية الثقافية عن مجمل العموميات الثقافية التي يشترك فيها أفراد المجتمع الواحد، فهي تعبّر عنه وتميّزه عن غيره من المجتمعات بغض النظر عن الخصوصيات الثقافية التي تختص بها الجماعات المشكّلة لهذا المجتمع بشكل عام وهي تتميّز بمجموعة من الخصائص منها:

* أنها عامة ومشتركة بين جميع الأفراد.
* أنها تعبّر عن المجتمع وتميّزه عن غيره.
* أنها مزيج من العناصر المادية واللامادية.
* تعمل على تنميط المجتمع ووحدته وتحافظ على وجوده.[2]

وعليه فإن الهوية الثقافية تشكّل وجدان المجتمع وضميره، كما وتحدد الإطار القيمي والسلوكي له، وبذلك تصبح الرّمز أو القاسم المشترك الذي يميّز فردا أو شعبا من الشعوب عن غيره فلكل أمة ثقافة مميّزة وثوابت جغرافية وتاريخية تعكس الثقافة السائدة، والتي تتضمن العديد من القيم والعادات والتقاليد التي تتفق عليها مجموعة من الأفراد، والتي بدورها تولد فيهم الشعور بالألفة والتّماسك الاجتماعي والإحساس بالانتماء لهذا المجتمع، كما أنها قابلة للتّجدد مع الاحتفاظ بخصائصها الثابتة التي تأسست بفعل التاريخ واللغة والدين والقيم فمثلا بلاد الجزائر معروفة في تراثها بطبق الكسكس الذي يعتبر كموروث قديم ومميز اذ نجده يحضر من نفس المكونات الأساسية، إلا أننا نكاد نلمح أن طريقة التقديم تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي الجنوب يقدم بالعسل بينما في الشرق والوسط بالمرقة.

[1] – بن قومار كريمة، مرجع سابق، ص 178.

[2] – صديقة الفنتي، حنان مالكي، الهوية الثقافية الجزائرية في زمن العولمة الثقافية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مج 12، ع 01، ص 1200.

1-4- الهوية الوطنية: (القومية):

تعدّ الهويّة الوطنية رقعة جغرافية تجمع المواطنين في دولة واحدة ، حيث تقرّبهم من بعضهم البعض وتولّد فيهم حسّ الانتماء للوطن، كما وتعزّز الحاجة المشتركة للتعايش معا إلى حدّ ربطهم بمصير واحد يولد فيهم إحساسا بالاختلاف عن الشّعوب الأخرى[1]، فيسعون للحفاظ على قيمهم الثقافية، فهي بذلك تؤسس لرابطة قوية لا يمكن اختراقها وتمزيقها سواء كانت عرقية أو قبلية، بما ينشأ لدى الأفراد هوية قومية.

استنادا إلى ما سبق، يعرّفها "عباس الجراري" على أنها "**المتمثلة في مقومات ثابتة وقيم ناظمة بحكم التثبيت المتواصل بها عبر العصور والأجيال بحب صادق وروابط فكرية ونفسية تشدّ هذه الأجيال وتجعل الكل يتفاعل معها بإدراك عميق وحتى بدونه أي بعفوية وتلقائية**"[2]، بمعنى أنها تبنى من خلال مجموعة من الصفات والسّمات المجتمعيّة الثابتة والتي تختلف من مكان إلى آخر، ويتم وضعها عبر العصور في إطار علاقات تبنى على المحبّة والإخلاص وحبّ الخير للآخر والذي بدوره يشدّ عضد المجتمع وتماسكه ويحقق استقراره، ويعكس كذلك روح الانتماء لدى أبناء الوطن الواحد ومن خلالها تزدهر الأمم وترتقي.

من زاوية أخرى، لا يمكن الحديث عن الهوية الوطنية دون الهوية القومية، فكلاهما تجمعهم علاقة تداخل أو يمكن وصفها بعلاقة الجزء بالكل، فإذا كانت تعمل على إيجاد تطابق وتوازن داخل المجتمع والتعبير عن ثقافتها الخاصة من جهة أخرى، فإن الهوية القومية هي السمة المميزة للأنا تنسب إلى الوطن الذي ينتسب إليه شعب مميز بخصائص

---

[1] – علي عبد الكاظم الفتلاوي، مقاربة الهوية الوطنية سوسيولوجيا، مجلة المستوى الجامعي، ع 04، 2012م، ص ص154- 155.

[2] – عباس الجراري، من قضايا الهوية الوطنية، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، ط 01، الرباط، المغرب، 2013، ص 74.

هويته وأيضا تركز على الحدود السياسية والاستقلال الذاتي[1]، وبذلك تصبح الهويات الوطنية على اختلافها وتنوّعها هي جماعات متخيّلة تشكّل أسطورة للأمة والناقل الأساسي للتوحيد الثقافي، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدّمها حيث تقوم على مجموعة المبادئ والقيم التي تدفع بالفرد إلى تحقيق غايات معيّنة، وحتى تكون هناك هوية وطنية لمجتمع ما ينبغي أن تقوم على أصول ومعايير قيمية وضوابط اجتماعية ومبادئ تجعلها مركزا للاستقطاب.

1-5- الهويّة الإثنية : (العرقية):

تعرف الإثنية بأنها وعي الجماعة، فهي تشترك في الأصل الجغرافي وكذا الخصائص المظهرية أو طريقة الحياة المشتركة (جغرافيا، اقتصاديا، سياسيا وثقافيا)، كما أنها تعتمد على السمات الموحدة المترابطة بالثقافة والتنظيم الاجتماعي من أجل تمثيل الجماعة وتأكيد خصوصيتها والدّفاع عن مصالحها أمام جماعة أخرى.[2]

ناهيك عن ذلك، الهوية الإثنية تجنس الفرد من خلال وضعه في مجتمع ينتمي إليه له هويته وثقافته ولغة تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، ويبدأ هذا الإحساس بالتشكيل من الطّفولة فينمو ويتطوّر ويزداد هذا الشعور إلى آخر مرحلة من المراهقة وإن كانت هذه الأخيرة يشعر فيها حقا بالانتماء إلى ذلك المجتمع ويشعر بهويته[3]، وتصبح بذلك ظاهرة اجتماعية خالصة تتشكّل من خلال التنشئة الاجتماعية، حيث يتعلّم الفرد منذ صغره أساليب الحياة والمعارف والمعايير والمعتقدات السائدة في مجتمعاتهم، ويتعزّز ذلك من خلال ممارسة التقاليد الثقافية (قيم، عادات ... الخ).

ولابد لنا من الإشارة إلى أنّ الهوية الاثنية ترتبط بالهوية الثقافية، فكلاهما يستمدان من الآخر نظرا لاهتمام الآخر بالاثنية بكل السّمات الثقافية التي لها دلالات رمزية للجماعات

[1] – فضيلة شبابعة، تطوّر مفهوم الهوية من الفردي إلى الجماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، د.م.ج، ع 02، ص 133.

[2] – بن قومار كريمة، مرجع سابق، ص 178.

[3] – فضيلة شبابعة، مرجع سابق، ص 137.

الاثنية، فعلى سبيل المثال نجد أنّ الثقافة اليابانية من أكثر الثقافات محافظة على عرقها من لباس وأكل وتاريخ، وعلى الرغم من هذا الارتباط يختلفان في العديد من التّصوّرات، بحيث أنّ للهوية الثقافية شمولية تشمل كل من الدين واللغة ... الخ على عكس الهوية الاثنية التي تتميّز بالتّعدد الثقافي.[1]

ضف إلى ذلك يضع "جون ستاك" "Jhon Stack" ستة معايير لتحديد الهوية الاثنية هي:

* **العرق:** ملامح الوجه والخصائص الجسمانية، طول القامة، لون الشعر والعينين.
* **القرابة:** افتراض وجود رابطة أو انتماء لسلالة واحدة.
* **الدين:** بمثابة اسمنت التماسك بين أفراد أية مجموعة وضمانة لولائهم.
* **اللغة:** بصفتها مرحك للتواصل ورمز الهوية.
* **العادات:** أي وجود نمط حياة متشابه في مجالات الحياة المختلفة.
* **الإقليم:** انتماء أعضاء المجموعة لمنطقة جغرافية محددة.[2]

وعليه فإن الهوية الاثنية تحتل مكانة مركزية في تكوين الهويات الفردية والجماعية كونها تقوم على العديد من السمات التي ترتبط بالثقافة والتنظيم الاجتماعي، وتتجسّد في المجتمعات التي تتميّز بالتحدد الثقافي، حيث تتفاعل العديد من الجماعات الاثنية وعلى الرغم من اختلافها إلا انها تعيش في مجتمعات ولسعة تظهر في شكل ممارسات اجتماعية تساهم في تعزيز تماسك الأمم.

[1] – بن قومار كريمة، مرجع سابق، ص 178.

[2] – ميمونة مناصرية، مرجع سابق، ص 114.

2- وظائفها:

للهوية وظائف عديدة نستخلصها فيما يلي:

2-1- الوظيفة الاجتماعية:

تعتبر الهوية آلية من آليات التماسك الاجتماعي، فهي تجمع بين أفراد المجتمع الواحد بالرغم من اختلافات وتفاوت الهويات وتردّها ثقافيا، إلا أنها حققت تجانس وترابط وتناغم بين القيم والمعتقدات والالتزامات في المجتمع، بالإضافة إلى ذلك تضمن استمرارية تاريخ الأمة وازدياد شعورهم بالانتماء وعدم الشّك في تلك الجماعة، فالتاريخ أساس المجتمع، ولا وجود لمجتمع دون تاريخ كونه الحافظ على كيان الأمة ويحقق الانسجام داخلها وخارجها، كما تتضمن بعدا جماعيا حيث تعطي مؤشّرات على أنّ الأفراد متشابهون مثلهم مثل غيرهم من الناس، وعليه فالهوية المشتركة تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية كالحركة الدينية والعرقية ... الخ، وتتخذ هذه الحركات مركزا لها ومصدر قوة لتوجهاتها وأنشطتها.[1]

2-2- الوظيفة النفسية:

هي وظيفة قولبة (الشخصية الفردية) تتشكل من خلال الشخصيات النفسية للأفراد تقدم لهم نماذج من الأفكار والمعارف للتعبير عن عواطفهم وإشباع حاجاتهم النفسية، إلى جانب ذلك تسمح للأفراد بالتّكيف مع هذا النسق المتكامل، فتظهر في شكل سلوكات وتفاعلات تمثل ثقافتهم، ومن خلال هذا يصبح الفرد عضوا فاعلا في المجتمع، حيث يشعر بأن له دور وقيمة، على الرغم من أنّ شخصيته نتاج لعملية تثقيفية خاضع لها، إلا أنها لا تخلو من الخصوصية التي تميّز الأفراد عن الممم الأخرى.[2]

[1] – انطونيو غيدنز، علم الاجتماع، ت: د. فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 01، بيروت، 2005، ص 90.

[2] – خالد حامد، النسق المجتمعي وأزمة الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 342.

3- مركّبات الهوية:

تستند الهوية إلى مجموعة من الرّكائز التي تدخل في تشكيلها، منها ما يلي:

3-1- الدّين:

يعتبر الدين الأساس الأول في البناء الاجتماعي فبه تحدّد هوية الفرد والجماعة، وقد عرّفه "دوركايم" بأنه "**مجموعة متساندة من الاعتقادات والعمال المتعلقة بالأشياء المقدّسة، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها وحدة معنوية تسمّى الملّة**"[1]، معنى هذا أنّ للدين دور فعّال في خلق التفاعلات بين الأفراد وفق نظام يتولى بدوره مهمة تحديد هوية المنتمين إليه من خلال مجموعة من القيم التي تحدّدها الطّقوس والشعائر من أجل تحقيق الحاجيات المادية والمعنوية للمجتمع.

من زاوية أخرى يعدّ "**نسق موحّد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدّس، وهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع واحد يضم كل الذين يرتبطون به**"[2]، وبهذا أصبح المرجعية الأساسية والهامة التي تجمع وتميّز بين أفراد المجتمع الواحد باعتباره الرابط المتين الذي يؤلف بينهم، كما يفرض الانضباط الجماعي على حساب الاندفاعية الفردية.

و نافلة القول، يتبيّن لنا انه من خلال التعريفات السابقة للدين نجد أنه ما هو إلا ظاهرة اجتماعية تميّز بين المجتمعات، كما يرسم الاختلافات بين الهويات، فعلى سبيل المثال هوية المجتمع الغربي تختلف بدرجة كبيرة عن هوية المجتمع العربي، إذ إنّ لكل أمة دين وتعاليم ومبادئ تشكّل أسس معرفية بين الأفراد باعتبار أنّ علاقة السلوك الجماعي بالدين ما هي إلا علاقة تبادل معرفي وتواصل لتحقيق أبعاد مادية ومعنوية.

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى المقاربات السوسيولوجية قد اهتمت بقضايا ومسائل الدين، ومن أبرز المفكّرين الذين خاضوا في دراسة هذا المجال نجد كل من "كارل ماركس"، "فيبر وإيميل

[1] – فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية –نشأتها وتطوّرها–، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 01، 2006، ص 53.

[2] – عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، دار امتنان للنشر والتوزيع، ط 02، جدة، السعودية، 1990، ص 103.

دوركايم"، إذ يزعم هؤلاء أنّ الدين قد نشأ كمتطلّب مهم في النشأة الاجتماعية، وله دور في وضع التركيبات المهمة في الحياة الاجتماعية، فمن وجهة نظر "كارل ماركس" نجده يبرز أوضاع التفاوت الاجتماعي في مجال الثروة والسلطة، في حين يرى "إيميل دو كايم" أنّ له دور وظيفي مهم في تعزيز التماسك والتضامن خاصة في تأكيده على ضرورة التقاء الجماعات بصورة دورية لتأكيد العقائد والقيم التي يشتركون فيها، أما عند "فيبر" فيتجلّى دوره في إحداث تغيّر اجتماعي ولاسيما في تنمية النّظام الرأسمالي في الغرب.[1]

يشهد التاريخ الإنساني أنّ الدين كان عاملا أساسيا في تكريس وتعميق درجة الانتماء إلى الجماعة كونه هو "**المقولة المنتسبة إلى الهوية الأكثر انتشارا، فإن الهوية المحصّل عليها إنما تتأسس قبل كل شيء على الانتماء إلى طائفة معيّنة**"[2]، حيث أنّ هذه القاعدة الوجدانية هي التي بدورها تجعل الفرد قادرا على الشعور بأبعاده إنسانيا واجتماعيا، وذلك نتيجة التّأثر بالمجتمع، كما يمنحه الشعور بالانتماء إلى الماضي البعيد وإلى المستقبل اللامتناهي، فهو من جهة يمنحه أبعادا تاريخية، ومن جهة أخرى يفتح له آفاقا مستقبلية التي توفّر له اللامحدودية سواء في طموحاته وآماله كفرد أو كتطلعاته كإنسان.[3]

و تماشيا مع ما تم ذكره يحقق الدين وحدة الأفراد وهو ما يشكل أهمية في بناء الهوية، وعلى هذا الأساس يعد أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الهوية، حيث تتلاشى في

[1] – ميمونة مناصرية، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة –من منظور أساتذة جامعة بسكرة–، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 109.

[2] – ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيعن تونس، د ط، 2009، ص 260.

[3] – وفاء بن طراد، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها، اللغة والدين والثقافة، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع20، 2017، ص 555.

الحروب الهويات المتعددة الأخرى، وتبقى فقط الهوية المؤسسة على الدين، وبذلك يعدّ الدين أهم ركن يغذّي إشكالية الهوية.[1]

3-2- اللغة:

تمثل اللغة أساس الأمة والعنصر الذي يربط بين الحضارات، حيث تعتبر وسيلة للتواصل والتفاهم بين الجماعات البشرية باعتبارها خاصية إنسانية تعكس العقل الجمعي لفئة من البشر وميزة ينفرد بها المجتمع، فهي "**أكبر من مجرّد آية للتبليغ والتواصل، فهي تجسيد وتصوير لثقافة المجموعة اللسانية وفكرها، وهي بمثابة مرآة للبنيات الفكرية والثقافية السائدة في مجتمع معيّن، ومن ثمّ فاللغة تجمع بين كونها ظاهرة اجتماعية ووسيلة للتّواصل**"[2]، وبهذا تصبح من المقوّمات الجوهرية للهوية، فبوجودها تتمم عملية التواصل للتعبير عن الأفكار والأحاسيس، كما تمثل عنصرا أساسا في تعايشهم السلمي وبذلك مما هي إلا رموز ثقافية تعمل على توصيل الرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل لآخر.

الجدير بالذكر، أنّ اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة المتكلّمة كون هذا الارتباط لا يسمح بفهم اللغة إلا من خلال بعدها الاجتماعي إلا بوجود اللغة خارج نسق اجتماعي[3] وهي بذلك العنصر الأساسي الذي يحافظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال أداء دورها كأداة تربط بين جيل وجيل، والكاشف عن عادات المجتمع ومستوياته الثقافية وبذلك تعتبر المكون الرئيسي في تشكيل هويات الشعوب.

فضلا عن ذلك، ينظر علماء الاجتماع إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية وحقيقية وتعبر عن تنظيم اجتماعي معيّن، وهو ما يظهر ارتباط كل شعب بلغته، كما يرون في اللغة

---

[1] – سمية عوار، صونية عيشن، إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة، رواية اليهودي الحالي لعلي المقري أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة محمد الصديق بين يحي، جيجل، ص 23.

[2] – نور الذين لبصير، تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، مج 03، ع 13، 2017، ص 36.

[3] – وفاء بن طراد، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها، اللغة والدين، الثقافة، مرجع سابق، ص 522.

مظهرا من مظاهر الهوية أو الوجود[1]، وهي بذلك ذات قيمة اجتماعية تساهم في تحديد هوية الفرد أو المجموعة من خلال اللغة المتاحة لهم باستخدامها كونها تسعى إلى فهم التعبير الفردي الذي يستثمر في الأدوات اللغوية من أجل أن يستخدمها لنفسه وللآخرين.

اندرج مفهوم اللغة ضمن مفهوم الهوية حيث جاء في كتاب "اللغة والهوية" للكاتب "فيصل حفيان" أنها "**أقدم تجلّيات الهوية لدى الجماعات البشرية إذ لا شكّ أن تشكل هذه الجماعات قد ارتبط ببحثها عن وسيلة للتفاهم، وإذا كنّا لا نعرف –على وجه الدّقة– طبيعة هذه الوسيلة الآن– فإنّ المؤكد أنها من بعض التّجاوز "لغة"، وأنها هي التي مكّنت أفراد هاته الجماعة من تكوين مجتمع يحس أفراده بأي شيء مشترك يجمعهم مع من يتفاهم معهم من جهة ويميّزهم عن غيرهم من جهة أخرى**"[2]، وبذلك فإنّ اللغة هي العامل الثقافي للهوية باعتبارها أساس للاختلاف بين الثقافات، ولها أثر في نمو هوية الأفراد وزيادة إحساسهم بانتمائهم في إطار مجتمع تحقق له التبادل والتواصل فيما بينهم، وكذلك هي شرط ضروري للوجود الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات والآخرين، فمثلا في المجتمع الجزائري يستعملون لغتهم في تواصلهم (الدارجة) مع بعضهم البعض وأي سلوك نابع منهم ما هو إلا انعكاس لثقافتهم الأصلية.

بالإضافة إلى ذلك، تعزز اللغة وتقوّي التراث الثقافي، كما لها أثر في منح الهوية قيمتها باعتبارها المستودع الأمين الذي يختزن به مقومات الانتماء وذاكرة المستقبل، كما أصبح معروفا بأن اللغة وإتقانها يؤثران في مدى الحصيلة المعرفية ودرجة الإبداع والإتقان

[1] – غالية رزوقي، جدل العلاقة بين اللغة والهوية في فكر الفيلسوف جاك دريدا، جامعة حسيبة بن بوعلي، د م، د ع، د س، ص 04.

[2] – هار لمبسو، هولبورن سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، سوريا، 2010، ص 14.

العلمي، وكذلك تغني الحضارة الإنسانية[1]، وهي بذلك المخزون الحضاري والفكري للأمة فهي تراكم معرفي للأجيال المتعاقبة، ومادامت تنقل المعارف فهي تحدد شكل الهوية.

ليس ذلك فقط بل، تجمع اللغة بين أبناء الوطن أو الأمة حيث تنمو مع الفرد وهو ما يجعلها ملازمة لهوية الإنسان (فكره ووجدانه)، فالأمة تتحدّد قيمتا من خلال لغتها وبقدر صمودها وعراقتها وبقائها، على الرغم من الانتكاسات التي لحقتها في المفاصل التاريخية إلاّ إنها بقيت محافظة على قدسيتها.[2]

3-3- الثقافة:

تعدّ الثقافة ركن أساسي في أي نظام ثقافي، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة التي تصنع هوية الجماعات والأفراد، وينبغي علينا في البداية التّطرّق إلى المفهوم الذي صاغه العالِم الأنثروبولوجي "تايلور" حتى يسهل علينا فهم الأثر الذي تلعبه الثقافة في تكوين هوية المجتمعات على حدّ السواء، وهي في نظره "**ذلك الكل المركّب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**"[3]، فهي بهذا تعبير عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان تتميّز ببعدها الجماعي والثقافي وهي مكتسبة ولا تنشأ عن الوراثة البيولوجية.

أما عند المفكر الجزائري "مالك بن نبي" فهي **مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا بالعلاقة سلوك مرتبط بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه**"[4]، معنى أنها تمثل جل القيم الفردية والخلقية

---

[1] – عيسى برهوصتن، جدل العلاقة بين اللغة والهوية، wwwhttps://olghad,com، 2023/03/24، الساعة 4:00 مساءً.

[2] – نسيمة عوار، صونية عيسى، إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة –رواية اليهودي الحالي لـ علي المقري أنموذجا، مرجع سابق، ص 27.

[3] – دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، مارس 2007، ص 30- 31.

[4] – مالك بن نبي، مشكلة الهوية، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ط 04، 2000، ص 71.

والاجتماعية التي تكوّن الفرد منذ ولادته وتصبح بذلك نمطا يسيّر حياته ويوجه سلوكه وفق النمط الذي تتأسس فيه، ولا يمكن لنا أن نتصور هوية أمم دون وجود ثقافة كونها تعبّر عن مجموعة من القواعد التي يأخذ بها المجتمع، وهو ما يجعلهما متلازمتان ولا يمكن تصوّر إحداهما عن الأخرى، وهو ما جعل "هارلمبس وهولبورن" يؤكد بأنه "**ترتبط فكرة الهوية بإحكام إلى فكرة الثقافة والهويات يمكن أن تتشكل عبر الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي إليها الأفراد، أو التي يتشاركون فيها والعديد من نظريات الهوية ترى العلاقة بين الهوية والثقافة تأخذ أشكالا مختلفة، فالباحثين الذين تأثّروا بالنظريات الحديثة للثقافة والهوية ينظرون إلى الهوية باعتبارها تنشا بطريقة واضحة من الانخراط في ثقافات فئوية معيّنة**"[1]، وهو ما يظهر بأنّ العلاقة بين الهوية والثقافة مترابطة حيث تسعى هذه الأخيرة في تحديد عناصر الهوية للأمم، إذ تحمل معنى شعور الفرد بكيانه وانتمائه لمجموعة إنسانية لما لها من أثر في بناء الهوية الفردية والجماعية وتصبح بذلك تمثل إستراتيجية تستخدم الثقافة وتغيّرها حتى تكون مختلفة عما كانت عليه من قبل.[2]

علاوة على ذلك، تعتبر الهوية نتاج إجماع بين الجماعات البشرية، حيث نجد أنّ التوافق والانسجام يتحقق في المجال الثقافي بشكل أسهل وأقوى من أي إجماع آخر، إذ من الصعوبة تجريدها من المضمون الثقافي لأن الهوية تنتهي إلى حقل التّخيّل الذي يعدّ فعلا اجتماعيا وثقافيا.[3]

ضف إلى ذلك، تحمل الثقافة معنى شعور الفرد بكيانه وانتمائه لمجموعة إنسانية كونها تتضمن مجموعة من المعايير وأشكال الممارسات والنظام التي يؤمن بها الفرد، فهي توجد

[1] – هارلمبسوهو لبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، دمشق، سوريا، 2010، ص 04.

[2] – محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية –قضايا اللسان والهوية–، دار قالة، الأبيار، الجزائر، د ط، د ت، ص 05.

[3] – وفاء طراد، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها؛ اللغة– الدين– الثقافة، مرجع سابق، ص 565.

سلوك الفرد بجميع مستوياته[1]، وما يجعلها تمتزج بالعادات والفنون والدين، وبذلك تصبح أهم ركيزة تتحدّد وفقها هويات المجتمعات الإنسانية ومدى تمييزها وتفرّدها عن أي جماعة أخرى من خلال ذلك التراث المتراكم عبر العصور.

[1] – وفاء طراد، نفس المرجع، ص 567.

المبحث الثاني: واقع الهوية السائلة عند "زيجمونت باومان"

I- طروحات الهوية في الزمن ما بعد الحداثي:

تعدّ الهوية ركيزة أساسية في حياة المجتمعات كونها أداة يتحقق من خلالها وجودهم كما وتثبت لها خصوصياتهم، بناءًا على محددات وأبعاد متعارف عليها تظهر في شكل سلوكيات وأساليب عيش محددة، وقد شكلت مشكلة الهوية دراسات ونقاشات كبيرة بين أصحاب النظريات الاجتماعية، إلا أنّ محور النقاش قد ارتكز حول فكرة مفادها أنّ الهوية في الماضي كانت تمثل قاعدة يتحقق من خلالها استقرار المجتمع، كما وتنظم شؤونه باعتبارها تقوم على أسس ثابتة، إلا أنها مع ظهور العولمة وبلوغ درجة كبيرة من التّطوّر التكنولوجي أضحت تعيش نوعا من التّغيّر والتبدل باستمرار ما خلق تأزما نتيجة لغياب بنى ثابتة ترتكز عليها المجتمعات الغربية وبالتالي زوالها.

يعدّ المفكّر "ستيوارت هول"* من بين أبرز المنظرين الذين يعتقدون بأن الهوية في المجتمعات الحديثة قد أصبح يشوبها التعدد والتنوع والتغيّر بصفة دائمة، ويميّز في ذلك بين ثلاث مفاهيم مركزية للهوية الثقافية:

أولها: الذات التنويرية: التي تولي مركزية للإنسان باعتباره كائن عاقل وواعٍ وفاعل، حيث تتجلّى نقط الارتكاز لديه من لب داخلي، حيث أنّ وجود الفرد وعيشه وتدبير شؤونه يمثل المركز الأساسي الذي تتحدّد وفقه هويته وهو ما يجعل الذات مركزا جوهريا في الكون.

ثانيها: الذات السوسيولوجية: بحيث أنّ وجود الذات لم يكن مستقلا عن وجود الآخرين الذين ساهموا بشكل كبير في نقل القيم والمعاني والرموز، وبذلك فإنّ الهوية تتأسس من خلال التفاعل بين الذات والمجتمع، ومن خلال حوار يجمع بين العوالم الثقافية في الخارج وبالتالي التفتح على الهويات الأخرى والتفاعل معها.

---

* - *ستيوارت هول: (Stuart Hall) (1932- 2014): عالم اجتماع ماركسي بريطاني الجنسية، كان من الشخصيات المؤسسة لمدرسة الفكر المعروفة الآن باسم "الروايات الثقافية البريطانية، أسس مجلة "ليسار الجديد"*، للتعمق أكثر ينظر: orghttps://ar,wikipedia

ثالثها: هي الذات الما بعد الحداثية، وما يميّز هذه الحقبة أنها متغيّرة وغير ثابتة وغير جوهرية، والهويات تشكل بذلك حسب تعبير "ستيوارت هول" ما هي إلا "احتفالا متنقلا"، إذ تتّخذ الذات هويات غير ثابتة (مختلفة) باختلاف أزمنة تدفع بالمجتمع إلى اتّجاهات مختلفة وهو ما يجعلها متعددة[1]، فحسبه نجد أنّ الذات قد عرفت تغيّرات أثّرت بشكل كبير في معتقداتها وسلوكاتها وأسسها، وهو ما أكسب الهوية التعدد والتنوّع، ليس ذلك فقط بل، نجدها منفتحة على التغيّر والتعديل بصفة مستمرة، وبذلك أصبحت الذات تنتقي هويات مختلفة تجعل الفرد في قلق دائم حول كيفية التعامل معها.

بالإضافة إلى ذلك، يرجع "هول" تعدد الهويّات إلى العولمة والحداثة المتأخرة، فهو كما يصفها "**تنوير دائم وازعاج دائم ومتواصل لجميع العلاقات الاجتماعية**"، وبذلك فالهوية إنتاج لا يكتمل على الإطلاق، حيث تبقى في سيرورة مستمرة تتشكّل من داخل التماثلات لا من خارجها.[2]

علاوة على ذلك، نجد أنّ "كلود دوبار"[*] من خلال قراءاته وأبحاثه ودراساته المعمّقة في المجتمع الغربي وجد أنّ مفهوم الهوية يرتكز على نمطين أساسيين:

1- الموقف الجوهراني: الذي يرى بوجود حقائق ثابتة وماهيات جوهرية، حيث يضم هذا الاتجاه القراءة الجوهرية ذاته ومدى انتمائه للجماعة التي يعيش فيها منذ الولادة في وضع أسري واجتماعي يقوم على مجموعة من الأسس والنظم التي تنظم عيشه، وهو ما يبقى ملاصقا في حياته ومطابقا لوجوده الجوهري.

---

[1] – ستيوارت هول، **حول الهوية الثقافية**، تر: بول طبر، المجلة العربية لعلم الاجتماع، ع 02، 2008، ص 139-140.

[2] – مروة مختار، **ستيوارت هول وتشكل الهوية الثقافية**، https://www.academia، 27-02-2023، الساعة: 1:30 زوالا.

[*] – [**]كلود دوبار: (Claud bor) (1945- 2015)، عالم اجتماع فرنسي، تتطرّق أبحاثه لسياسات التأهيل المستمر وعلم اجتماع المجموعات[**].

2- الموقف الوجودي: يؤمن بفكرة التغيّر استنادا لمقولة "هرقليدس" "**لا يوجد جوهر أبدي بل كل شيء يخضع للتغيّر**"، فمن وجهة نظر "كلود دوبار" لا وجود لانتماءات ثابتة بل اختلافات وتنوعات بصفة دائمة بين الأفراد تتبدّل على المدى التاريخي حسب الفرد والجماعة التي يعيش فيها، ويطلق على الهوية ما بعد الحداثية "**بشكل السّردي الفرداني**" حيث يصعب فصلها عن السيطرة الطبقية وعن الهوية الجماعية الأخرى التي يسميها بالسيرورات الثلاث طويلة الأمد "الحضارية"، "القومية"، "السياسية" هذه الأنماط التاريخية مهمتها خلق التشابه والمماثلة بين أفراد المجتمع، وهي ما تجعلهم يتميّزون عن غيرهم.[1]

وقد أكّد كذلك من خلال كتابه "أزمة الهويات" عن ثلاث سيرورات لتطوّر أشكال الهوية تاريخيا تظهر الأولى في الحضارة لـ"نروبرت إلياس" التي أشار فيها إلى مفهوم شديد التجريد للهوية "نحن" – "أنا"، وإلى فرضية الانتقال من سيطرة الجماعات على أشكال وسلوكيات الأفراد إلى سيطرة الأنا المماثلة.

أما الثانية فهي السيرورة التي يطلق عليها "ماكس فيبر" العقلنة المرتبطة بالعلاقة التاريخية بين شكلين للعلاقات الاجتماعية ونمطين للاندماج الاجتماعي، أما ثالثها فهي سيرورة كل من "ماركس" و"انجلز" التي تناقش سيرورة التحرر بوصفها سيرورة ثورية[2] معنى هذا أنّ معرفة أشكال الهويات من خلال سياقها التاريخي له دور بارز في فهم هويات الجماعات ووضعياتهم في الزمن الحالي خاصة في ظلّ بروز العولمة (الكوكبة) وتشابك الانتماءات وتعدّدها، باعتبارها أدوات نستطيع من خلالها الكشف عن أحوال الأمم من خلال تفسير وتحليل الممارسات المتعلّقة بتشكّلات الهوية نتيجة تغيّرها في كل عصر وفق

[1] – هالة عبد المنعم عبد المقصود، **تحوّلات الهوية وطبيعتها الديناميكية في نحت ما بعد الحداثة**، بحوث في التربية الفنية والفنون، مج 22، ع 02ن 2021، ص 98- 99.

[2] – مريم شريط، كتيبة بغامي، **السيرورات التاريخية الكبرى لأشكال الهوية من منظور كلود دوبار**، مجلة دراسات في علم الاجتماع المنظمات، مج 09، ع 02، 2022، ص 44- 45.

المستجدّات التي تحيط بها، اذ في نظرنا أن هذا هو سبب تغيّر الهويات فلا وجود لبنى ثابتة يسير وفقها المجتمع.

في نفس السياق، يؤكد "انتوني جيدنز"* بأنّ المجتمعات الحديثة قد خلقت أنماط حياة جديدة أوجدتها الحداثة حيث تخلّت المجتمعات عن تلك الأساليب التقليدية المألوفة التي اعتادت من خلالها تنظيم الحياة سواءا في الجانب الداخلي أو الخارجي، فعلى المستوى الدّاخلي بدّلت جانب من المعالم الشخصية لوجود الذات، أما من الناحية الخارجية فقد أسست نوعا جديدا من الترابط الاجتماعي يغطّي العالم ككل[1]، بمعنى أنّ الحداثة قد سلبت المجتمعات كلها من تراثها وقيمها ومبادئها بفعل العولمة التي قضت على كل الأساليب التقليدية والطبيعية التي عهدتها المجتمعات، والذي بدوره يجعل الهوية والعلاقات بين البنى الاجتماعية في تغيّر نهائي ولا محدود، فضلا عن ذلك تعدّ الطبيعة الانعكاسية سمة أساسية في الحداثة المتأخرة، إذ يزداد إدراك الأفراد وتفكرهم في اختياراتهم وبعد اتّخاذها، فمثلا نجد الفرد اليوم يختار ملبسه وهواياته ومأكله وحتى زواجه ... الخ.

فهنا الذات لم تعد تستند إلى أسس ثابتة وبالتالي غياب سردية متماسكة للفرد، فما دام حرا في اختياراته يبقى يعيش في قلق حول أن تكون خياراته أقل جودة مما يجب، وأن تكون لا تليق به.[2]

يرى بعض الباحثين السوسيولوجيون كذلك أنه في الزمن المعاصر الهوية أصبحت مجزّأة ومرنة ومتحرّرة، حيث لا تتقيّد ببنى اجتماعية وانما تسير بحرية، فهي تبقى متفتحة على التغير والتحويل، فدينامية المجتمع المعاصر في مرحلة ما بعد الحداثة قد ساعد في

---

* – ** أنتوني جيدنز: (1938م) أحد أبرز علماء الاجتماع المعاصرين، نشر ما لا يقل عن 34 كتابا، اشتهر لوضعه لنظرية الهيكلة، كما عرف بنظرته الكلانية إلى المجتمعات المعاصرة.**

[1] – ستيوارت هول، **حول الهوية الثقافية**، مرجع سابق، ص141.

[2] – محمد أسامة، أنتوني جيدنز، **عالم الاجتماع بحثا عن سياسة جديدة**، https://www.ida2at.com، 2023/02/27، 15:00 مساء.

ظهور العديد من السلوكيات ومنتجات ثقافية جديدة، فهذه المرحلة بمثابة انفصال عن الماضي والتوجه نحو آفاق جديدة للمستقبل.[1]

إضافة إلى ذلك، ترفض أطروحات النسوية فيما بعد الحداثة الحديث عن وجود هوية راسخة تنقل صوتا مفردا وتتبنّى بدلا عنها فكرة الهويات المتناقضة والمتنوّعة لمقاومة الأفكار التي تؤكد بوجود هوية راسخة وصارمة، فذات ما بعد الحداثية غير مستقرة وغير ثابتة كونها تعيد تشكيل نفسها بصورة دائمة ومستمرة[2]، " **فمثلما أنّ الهويات ناتج ثقافي لهذه المرحلة فإنها تعبّر عن نفسها بصيغ متنوعة** ".[3]

ومما سبق ذكره، نستنتج أنّ المجتمعات الغربية في مرحلة الحداثة المتأخرة أصبحت تعيش تغيّرا دائما، حيث أنّ أنماط الحياة التي أوجدتها قد أبعدت المجتمعات عن جميع الأنماط التقليدية للنظام الاجتماعي بطريقة غير مسبوقة نظرا لما أحدثته العولمة من تفتح على ثقافات الأمم، وهو ما شكّل هويات متعددة تجعل الفرد المعاصر يعيش أزمة في هويته كونها أصبحت منزوعة المركزية عكس ما كانت عليه في السابق، فحسب وجهة نظر "المسكيني" فإن هذا الانتقال "**من الحداثة إلى ما بعد الحداثة قد تضمن انتقال من براديغم الذات إلى جملة من أشكال التذوت بلا براديغم، لم يعد فهم الإنسان بوصفه ذاتا حديثة (سيّدة، محضة، مشتركة، متعالية) بل صار الإنساني لا يوجد في الأنا الخاص أصلا، إنه لم يعد (شخصا) بل شكلا من التّشخّص والتهوّي والتّفرّد**".[4]

---

[1] – ديفيد إنجليزن جون هيدسون، **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط 01، 2013، ص 205– 228.

[2] – **الهوية فيما بعد الحداثة**، https: //www alititihad، 2023/02/27، 7:00 مساءً.

[3] – عبد الله الغذامي، **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 02، 2006، ص 62.

[4] – فتحي المسكيني، **الهوية والحرية**، نحو أنوار جديدة، جداول للنشر، لبنان، ط 01، 2011، ص 218.

II- الهوية ما بين الصلب والسائل عند باومان:

شهدت الحياة المعاصرة العديد من التحوّلات التي كان لها أثر في تغيّر العديد من الأنماط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية نظرا لما أحدثته التكنولوجيا والتقنية، ما جعل العديد من التّصورات تتغير وتتبدّل بعدما كانت تمثل الثبات والاستقرار، فما يحصل في وقتنا الراهن من محاولات التنميط العالم لغة وقيما وعاداتا وتقاليدا أطلق عليه المفكر البولندي زيجمونت باومان بعصر "الحداثة السائلة" الذي يرمي إلى خلق كوكب ديمقراطي يقوم على ثقافة كونية تتحكم فيها وسائل الإعلام والاتّصال.[1]

اتّخذ "باومان" على عاتقه مهمة تفسير الظّواهر الاجتماعية الجديدة وخاصة مشكلة الهوية التي أصبحت ترتبط بشكل وثيق بالعولمة، فهي في نظره ما هي إلا تلك التغيرات والتطورات في إستراتيجيات الرأسمالية لفرض نفوذها وسيطرتها على الميادين الاقتصادية والثقافية على المجتمعات، وهذا يحيل إلى فطنته كونه قد كان عضوا في الحزب الشيوعي البولندي ما يجعله خبيرا بالفكر الماركسي، فضلا عن إطلاعه ومعرفته للنظام الرّأسمالي ومراحل تطّوره[2]، هذا يضفي بنا إلى القول أنّ هذه المعرفة قد ساهمت بشكل بكير في تشكيل أرائه حول ما يحدث للمجتمع في طور الرأسمالية التي أصبحت تهيمن وتتحكم في كل شيء، ونجد أنّ الهوية كانت تمثل في فترة الحداثة الصلبة قاعدة يستقر من خلالها المجتمع باعتبارها تقوم على أسس ثابتة توجه أساليب عيش الأفراد، كما كانت تسعى للحفاظ على مقوّماتها من أجل تحقيق الوحدة والانتماء والانسجام والتجانس، إلا أنه حسب "باومان" أصبحت تعيش التغيّر باستمرار في الزمن الما بعد الحداثي أو كما يسميه بـ"الحداثة السائلة".[3]

---

[1] – شرارة حياة، بوعمامة العربي، **واقع الهويات السائلة في سياق المثاقفة الجديدة**، مرجع سابق، ص 286.

[2] – عبد علي حسين، **الحداثة السائلة وجدل الهوية الهوية**، https:alantologia.com، 2023/03/30.

[3] – حجاج أبو جبر، **هل من مكان للهوية في عالم معولم " استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغمونت باومان"**، مجلة تبيّن، مج 11، ع 41، 2022، ص 155.

يؤكد مترجمنا أنّ الهوية فيما مضى كانت تتأسس على "الكفاءة النسبية" للأدوات والوسائل التي توفرها في بناء محددات وأبعاد متعارف عليها تظهر في شكل أنماط وسلوكات وأساليب عيش محددة متوارثة عبر أجيال وأجيال، وهنا نجده يصيغ تصوّر "ماكس فيبر" عن العقلانية التي لعبت دورا هاما في توجيه التفكير من أجل تنظيم أسلوب الحياة من خلال التخطيط والتوجيه والتسيير من أجل تحقيق الغايات، إلا أنه مع ظهور العولمة قد تغيّرت هذه الرّكائز التي بنى عليها "فيبر" تصوّره[1]، كون العقل البشري قد أصبح مبدعا ومبتكرا للعديد من الأدوات والوسائل التي خلقت العديد من الفجوات والتي كان لها دور في خلق هويات متنوعة جعلت المجتمع يعيش التشتت والتّصدّع وهو خلق أزمة حقيقية.

فضلا عن ذلك، يعتقد "باومان" أنّ "**سيناريو ما بعد الحداثة يمثل تعقيدا أكبر باعتبار أنّ الاختيار يبقى مفتوحا أمام الأشخاص، ما يخلق عالما مليئا بالتناقضات وهو ما سيجعل الهويات متعددة ومرنة ... هذه الحقيقة تخلق دولة تعاني من اللايقين والألم المسبوق**".[2]

انطلاقا من هذا، فإن هذه النقلة فقد أعطت للإنسان حريته في اختيار ما يريد بما في ذلك هويته، نجد أنها خلقت له في مقابل ذلك الخوف والقلق نحو ما ستكون حياته نتيجة هذا التغيّر الرهيب واللانهائي، إذ إنّ هذا التسارع في التغيير خلق للفرد العديد من الارتباكات في حياته، فالمجتمع الذي كانت تحدده أنماط سلوكية صلبة في الماضي أضحت سماته في الوقت الراهن تقوم على التغير والتبدل، إذ أصبح عاجزا عن الاحتفاظ بشكله.

في نفس السياق، يرى "أنطونيو كاسيلي" أنّ هذه البيئة قد أظهرت ممارسات جديدة جوهرها التكنولوجيات الحديثة ومدى تغلغلها في أوساط المجتمع الذي زودته بالعديد من

[1] – حجاج أبو جبر، **هل من مكان للهوية في عالم معولم –استكشاف "الهوية السائلة" زيغمونت باومان**، مرجع سابق، ص 155.

[2] - DrJose Marmol, **Zygmunt Bawman yla identidad como problema ètico**, unikersidad del pais vasco, Espana, 2019, p 34- 35.

الأدوات والبدائل والعدّة التقنية التي أعادت تشكيل أنماط التواصل بين أفراد المجتمع[1]، ما جعل الفرد عضوا فاعلا ومنتجا ومشاركا في الوسط الذي يعيش فيه، فلا وجود لأسس متينة توجه وتؤطّر سلوكاته في إطار الجماعة فينتقي ما يريد ويترك ما يشاء، وفي هذا الصدد يزعم "باومان" بأنه قد "**انفصل أفراد الحداثة ((الكلاسيكية)) عن الجماعة فوظّفوا ما اكتسبوا من قوة جديدة وامتيازات تحظى بها القوة الفاعلة في السعي المحموم وراء ((الاندماج في الجماعة من جديد))**"[2]، ما يعني أنّ المجتمع الحديث يقوم على قدر كبير من الفاعلية البشرية، فالتغيّرات السريعة التي أصبحت تلحق المجتمعات تتطلّب من الأفراد أكبر قدر من الانسجام مع الوضع السيولي.

نلمح أن مترجمنا وصل من خلال تحليلاته لوضع المجتمع في مرحلة ما بعد الحداثة إلى فكرة مفادها أنّ حاجة الإنسان إلى الهوية إنما ينبع من الحاجة إلى الأمان الذاتي وهو ما يصفه بأنه أمان يعتريه نوع من الغموض، ومهما ارتبط هذا الشعور بالوعود يبقى مرهونا بتجارب غير ممتحنة ما يجعلها تسبح في فضاء متلبس، فلا وجود لسند ترتكز عليه، وبالنسبة لـ"باومان" يبقى التشخيص للهوية في زمن السيولة تشخيص مرتبك نظرا لغياب أصل مفقود وموطن ظلّ موضع سؤال بالنسبة له، ولا يخفى عليه ما تتوق له النفس الحرة في المجتمع الحر بأن تكون متجاوزة للهويات القسرية، فما يميّزها في الأزمنة الحديثة أنها تكون أكثر ميوعة وانسيابية ومغرية لانتقائها[3]، معنى هذا أنّ الفرد أصبح يمتلك قدرة في بناء الهوية وتدميرها كيفما يشاء اذ تتجلّى مظاهرها في أنماط سلوكية غريبة تغزو حياته مثل: نوع اللباس والكلام ... الخ، حيث تبقى هذه الأشكال سائلة متغيّرة بتغيّر الزمان والمكان ولا تعرف الثبات في القيم والأعراف والعادات، وحسبه أن "**طريقة البناء هذه لا يمكنها أن تنتج سوى مجتمعات واهية وعابرة كأنها مشاعر متبددة تهيم على غير هدى في سعيها**

[1] – عبد الله الغذامي، **القبيلة والقبائلية وهويات ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص46.

[2] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 79.

[3] – عبد الله الغذامي، **القبيلة والقبائلية وهويات ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 47– 48.

اللانهائي إلى ملاذ آمن"[1]، وهو ما يجعل المجتمعات تعيش في خوف دائم حول ما سيكون عليه الحال في المستقبل، كما تكون العلاقات بين الأفراد مجرّد لحظات عابرة سهلة الزوال، فلا وجود لأسس ثابتة وبنى تتحكم في النظام الاجتماعي.

ضف إلى ذلك، يعتبر "باومان" أزمة اللاجئين سببا آخر في جعل الهوية غير مقيّدة وإنما تترك بحرية، فهي منفتحة على التغيّر والتعديل، إذ أن الهجرة التي يشهدها العالم اليوم وضعت البشرية في واقع صعب وغريب، أهم ما ميّزه أنه أصبح يتشكّل بصفة مستمرة ودائمة، وهو ما أسس لنا هويات جديدة ومتعددة تصنع خارج الهوية المحلية التي تستند إلى سلسلة من الأفكار والقيم والأعراف والعادات والمعتقدات، وهي هوية سائلة تنشأ في مكان ما حيث لا تبالي هذه الأخيرة باختلاف العادات والتقاليد بل تهدف إلى إنشاء مجتمعات مقبولة وسائلة بلا تاريخ وأصل.

وتذكر لنا الزهرة قني في مقالها متحدثة عن الهجرة أن "**الطريق إلى المخيّمات يجرّد الناس من كل عنصر فريد من هوياتهم ما عدا عنصرا واحدا ألا وهو اللاجئ غير الشرعي الذي لا وظيفة له ولا مكان، ولا دولة له فداخل أسوار المخيم يصير اللاجئون كتلة مضغوطة مجهولة وبعدما حرموا من المزايا الاجتماعية الأساسية التي تستمد منها الهويات ... فتلك المخلوقات المنجرفة المنتظرة لا تملك سوى حياتها العارية** ..."[2]، بمعنى أنّ اللاجئون إلى البلدان يتخلّون عن كل أنماط حياتهم من قيم وعادات وتقاليد، فهم يعانون من أشكال الحرمان، إذ يبقون في نظر الدول مجرّد دخلاء لا ينتمون لأي جماعة بشرية، هذا الإقصاء يحولهم إلى نفايات بشرية تستهلك أكثر مما تنتج تعيش تحت رحمة الدولة الداعمة والحاضنة.

---

[1] – زيغمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 84.

[2] – نقلا عن الزهرة قني، **زيغمونت باومان** "**المساءلة النقدية للحداثة الغربية**"، صحيفة المثقف، العدد 5572، 2019م، https://www.almothaqaf/com ، 01 أفريل 2023م، 1 زوالا.

من خلال ما تم ذكره ارتأينا وضع جدول نبيّن فيه أهم الصور المجازية التي وضعها "زيجمونت باومان" في تبيان التحولات التي مسّت الهوية في زمن العولمة، أين انتقلت هذه الأخيرة من الصلابة إلى السيولة.

الهوية في فترة الحداثة الصلبة	الهوية في فترة الحداثة السائلة[1]
1- الحاج: يمثل صاحب الأخلاق البروتستانتية، كثير الترحال، تعكس صورته عن هوية في إطار الفعل الاقتصادي الذي ينظمه العقل في إطار العمل الحر. 2- البستاني: تعكس هذه الشخصية المفكرين والفلاسفة والمختصين الذين يصيغون أسس ومبادئ صلبة تضمن استقرار واندماج المجتمعات والحفاظ على القيم الأصلية وإلغاء ثقافات الغرباء. 3- البطل: تنم عن شخصية البطل الحديث الذي يوفر الخلود المادي العلماني للأمة، ما يجعل الهوية الوطنية بمثابة نداء حرب منذ البداية وتجنيد الأبطال والذي بدوره يحافظ على هوية الدولة ويحقق تماسكها وتماثلها خلال سيرورات طويلة.	1- اللاعب: تشير هذه الشخصية إلى الفرد الذي يسعى إلى لعب لعبة الهوية بشكل جيّد، وهو كثير التغيّر والإقبال على الهويات الجديدة فبراعته تظهر في مدى قدرته على عدم تثبيت الهوية ومدى انسجامه مع الهويات الجديدة. 2- السائح: تبيّن هذه الصورة المتسكّع الذي يعدّ الحياة مجرّد نزهة، فالهويات بذلك تصبح مجرّد مركز للتسوق، فالغاية هنا تقوم على البحث بصفة دائمة عن الجديد من أجل الخوض في تجارب تحقق متعة في العالم. 3- الصعلوك: وهم اللاجئون الذين لا يجدون أماكن للانتماء، وهم فئة ما دون الطبقة (حسب تسمية باومان)، لا هوية تمثيلهم يخضعون للمراقبة والقمع من قبل الدول الحاضنة لهم، وهم مكرهون ولا قيمة لهم.

من خلال ما سبق، نستنتج أنّ الهوية في فترة الحداثة الصلبة كانت تبنى عن طريق مجموعة من الأسس الصلبة المتينة والتي تظهر في شكل سلسلة من الأفكار والأعراف

[1] – اعتمدنا في إنجاز الجدول على المقال التالي: حجاج أبو جبر، **هل من مكان للهوية في عالم معولم –استكشاف الهوية السائلة– عند زيجمونت باومان**، مرجع سابق، ص 155– 170.

والقيم والمعتقدات مما لها تأثير فعّال في توجيه سلوكات الأفراد وفي ضمان استقرار المجتمع وتحقيق الانسجام والتّجانس بين الأفراد، وهي هوية تحترم المشترك الجمعي وتحافظ على مقوّماتها التي تميّزها عن الأمم، في حين الهوية في زمن العولمة قد أصبحت متغيّرة ومتعددة لا تعرف الثبات في القيم والأعراف تقوم على منطق الاستهلاك وهي ليست هوية أصيلة وإنما هوية هجينة مختلطة سائلة وذائبة تأسست في أيطار العديد من السلوكات الهشّة والرّخوة كون العولمة قد أثّرت على العديد من النظم القيمية التي تتشكل منها المجتمعات فمثلا: اليوم نجد أنّ العادات والمعايير التي تقوم بتعريف مجتمع ما قد تغيّرت من خلال استخدام الانترنت والقنوات التلفزيونية والتي ساهمت في خلق هويات جديدة تتأسس من خلالها المجتمعات الحديثة، وهذه العملية تساعد على خلق وسائل التكامل الثقافي للشعوب وفي نظر "باومان" "**بعد أن كانت مشروع حياة كاملة مشروعا يزامن فترة الحياة، فقد تحوّلت الآن إلى خاصية اللحظة، فلم تعد ترسم مرة تبنى لتستمر إلى الأبد، لكنها تركّب وتفكّك بشكل متقطّع مرارا وتكرارا**".[1]

III- تشكّل الهوية على الحرية والأمن:

إنّ موجة السّيولة التي تخلّلت أنماط الحياة الإنسانية المعاصرة أذابت كل المعتقدات والثوابت الصلبة، فغياب فكرة اليقين جعل المجتمعات تشهد هويات مرنة ومتعددة قابلة للتشكل باستمرار، لا تستند إلى أي أنساق صلبة تتحكّم فيها، وتوجه الحياة من خلالها عكس ما كان في الماضي، بل أصبحت التّحوّلات والمنعطفات السّريعة هي الوضع الجديد الذي يحدد التركيبة والبنية التي توجه الفرد في فكره وقيمه وسلوكياته وعلاقاته مع الآخرين، بما في ذلك هويته التي تغير مسارها بالضرورة وفق قيمتين إنسانيتين رئيسيتين هما: الحرية والأمن، "فحسب مترجمنا "باومان" أن هذين الأخيرتين بمثابة ركائز لا يمكن الاستغناء عنها لعيش حياة محترمة وآمنة يغيب فيها الخوف من المجهول، ونجده كذلك قد أكّد كثيرا على

[1] – زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص 231.

ضرورة إيجاد سبل للتوفيق بينهما، وهو الشيء الذي ترك للباحثين السوسيولوجيين مجالا للخوض فيه من أجل الحفاظ على وحدة المجتمع وتحقيق انسجامه واستقراره.

يقرّ المفكّر السوسيولوجي البولندي "زيجمونت باومان" بوجود علاقة صراع بين كل من الحرية والأمن، وتظهر هذه التناقضات في الرغبة في الشعور بالانتماء الذي يعدّ نوعا من أنواع الارتباط الوجداني الذي يحس فيه الفرد بارتباطه بشكل وثيق بجماعته ما يحقق ولائه للأشياء التي ينتمي إليها، وكذا الرغبة في الإحساس بالتّميّز من جهة أخرى، فالأمن الذي تسعى إليه المجتمعات نجده يركز كثيرا على بقاء واستمرارية المجتمع في إطار يضمن كل ما يعدّ تهديدا للهوية الجماعية والثقافية[1]، معنى هذا أن سعي المرء لطلب الارتباط مع الجماعات في ظل الحداثة السائلة ينبع من الحاجة إلى الأمان ولا يكون ذلك إلا من خلال التفتح على الثقافات المختلفة وتبادلها، وهذا يقتضي منه تحرره من قيود الأنماط التقليدية بتجاوز المعتقدات والأبنية الاجتماعية، وباختصار فإن هذا الصراع ناتج عن الخوف من أن يصبح الفرد مختلفا، وبالتالي شعوره بالوحدة والاقتراب والخوف من فقدان الفردية ما يعني انعدام العزلة.

فضلا عن ذلك، نجد أنّ مشكلة الهوية في الزمن السيولي قد أصبحت تتأسس على كل من الحرية والأمن، فعلى الرغم من صعوبة إيجاد طريقة تجمع بينهما، إلا أنّ المفكر البولندي السوسيولوجي استطاع وضع حلّ لها وهي "**أن نسير في حركة تشبه بندول الساعة أولا وباندفاع وحماسة نحو إحدى القيمتين، وبعد ذلك نميل عنها باتّجاه الأخرى**"[2] معنى هذا أنّ حاجة المرء إلى المن تقتضي منه الاندفاع نحو الحرية شرط أن يكون على علم بأطرافها وحدودها ثم الميل بعيدا عنها حتى يحمي نفسه من التهديدات والسلب، ولهذا

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابقن ص 26.

[2] – زيجمونت باومان، **الأخلاق في عصر السيولة**، مصدر سابق، ص 32.

فإن العيش في مرحلة الحداثة السائلة يتطلّب حركية بندول في الحياة، فيكون أحيانا مندفعا وأحيانا أخرى مبتعدا عنها حتى يستطيع مواكبة مستجدات العصر.

يزعم "باومان" أنّ الهويات الجديدة تبنى على النموذج الشخصي للفرد أين أصبحت مختارة وقائمة على ذوات عدّة، حيث شبّه لنا هذا النموذج بنموذج "الحرباء" أو "نموذج بروميثيوس"[*]، فكلا النموذجين على مقدرة من التّحول إلى هيئات عشوائية ومختلفة عن الهيئة الأصلية[1]، بمعنى أنّ الهوية غدت مهارة ومهمة فردية ترمي إلى أن يكون الفرد قادرا على السعي وراء تحقيق رغباته وأهدافه الشخصية، فهذه الحرية تنمّي فيه الثقة بالنفس وبالآخرين وبالمجتمع ما يضمن مستقبلا آمنا للجماعات.

علاوة على ذلك، إنّ الوضع الراهن الذي تعيشه الإنسانية اليوم قد جعل الهوية حسب مترجمنا "باومان" مرنة ومائعة، وذلك يعود إلى "النزعة الفردية التي أدّت إلى ذوبان معنى الالتزام تجاه الجماعة التي ينتمي إليها، ولم يعد للهوية القدرة على الحفاظ بشكل محدد تؤطّر من خلاله العلاقات مع الآخرين وتوجه سلوكاتهم، والذي يمكن أن يخرجها من التغيّر هو "الإنسان الحر" الذي يمتلك الإرادة الكاملة في التّغيّر متجاوزا بذلك كل القيود الاجتماعية الموروثة التي تدفع بالعلاقات إلى التّحرر، ما دامت هذه الممارسات تختلف فيما بينها، فإن سعى المرء نحو الحرية والأمن في تأسيس هويته كفيل بجعل طريقة عيشه سعيدة وجميلة وآمنة، ولكن عليه أن يبقى متفطّنا لهذا التّقدّم الرّهيب حتى يتمكّن من حماية نفسه[2]، لأجل ذلك تقتضي الثقافة الشاملة تجاوز الأطر التقليدية التي أصبحت عبئا وعائقا في طريق التّقدّم، ما يجعلها محصلة لتلك الجهود التي يبذلها المرء وحده وينشغل بها، وأهم ما يميّزها

---

[*] – [**] بروميتيوس: هو عملاق حارب في صف الآلهة الولمبية من العمالقة في الحرب العظمى، وقد كان ذو حنكة ودهاء ومجيب للبشر دونا عن الآله وقصته من اهم القصص في الميثولوجيا الغربية، وترمز القصة لمضامين ودلالات هائلة في الفكر واالتاريخ الغربي[**]، ينظر : https://ar,wikipidia,.com, 14/04/2023، 1:30 زوالا.

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 30.

[2] – زيجمونت باومان، **الحياة السائلة**، مصدر سابق، ص 64– 65.

(الهوية) أنها ليست ثابتة ودائمة وإنما مؤقتة تتجسّد في أنماط سلوكية هشّة ولكن ينبغي عليه ان يراعي التوازن في تجاوزه لهذه القيود حتى يعيش في أمن وسلام من فخاخ الهوية.

إلى جانب ذلك، يظهر التنافر بين الحرية والأمن في تأسيس الهوية من خلال جانبين هما: الأوّل : المستفيد الذي يعتبرها عباءة خفيفة يسهل تركها وإعادة وضعها، والثاني: المتضرّر الذي يعاني من القهر وعدم الأمان، فيعتبر الهوية ملكية ثابتة وحق طبيعي[1]، فهنا نجد أنهما يستعملان نفس الكلمة للتعبير عن أوضاعهم (الهوية) إلا أنهما يختلفان في وضع معانيها ومقوماتها ومبادئها تمام الاختلاف والذي بدوره يضع حدّا للتّحاور والتفاهم، لذلك يجب على الجماعات في الزمن المرن التعايش مع التغيرات في إطار يقتضي التوازن مع كل من الحرية والأمن.

ضف إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ مفكرنا يصف الهوية السائلة على انها هوية "هجينة"، فهي ذلك التهجين الثقافي الذي غدت تقوم عليه الهويات الجديدة، وهذه الفكرة شبيهة بفكرة "بيار بورديو"* في تمييزه للوضع الاجتماعي حيث يشبه هذا الأخير الهويات بأنها آكلة لكل ما تجده دون التزامات تقيّدها، وهذا التهجين الثقافي راجع إلى التّحرر وفي نفس الوقت فيه تجاوز للهويات الجامدة.[2]

خلاصة القول، الهوية في الزمن السيولي أصبحت تتأسس على كل من الحرية والأمن باعتبارهما ركيزتان لا يمكن الاستغناء والتّخلي عنهما من أجل عيش حياة سعيدة وجميلة وآمنة كما وصفها لنا مترجمنا، وعلى الرغم من الصراع والتناقض الذي تحتويه هاتين

---

[1] – اليزيد بوعروري، **الهوية السائلة في المجتمعات المعاصرة**، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 07، ع 01، 2022، ص 866.

[*] – **بيار بورديو (Pierre Bourdieu) (1930– 2002): عالم اجتماع فرنسي، أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر بل إنّ فكره أحدث تأثيرا بالغا في العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين**.

[2] – سعاد سحنون، عبد السلام عمور، **سؤال الهوية والاختلاف من منظور الفيلسوف زيجمونت باومان**، مجلة رفوف مج 11، ع 01، 2023، ص 612.

القيمتين إلا أن الحل يقتضي التوازن في الرغبة بالإحساس بالانتماء والرغبة في الشعور بالتّميّز، وحتى يحمي المرء نفسه من هذا التقدّم والتّغيّر الرهيب يزعم هذا الأخير (باومان) انه "**تكمن الحيلة في مواكبته، فإذا أردت أن تنجو من الفرق فعليك بالاستمرار في ركوب الأمواج هذا يعني تغيير دولابك وأثاثك وورق الجدران ومظهرك، وعاداتك، ويعني ذلك باختصار تغيير نفسك ما استطعت**"[1]، والذي بدوره يجعل الهويات مرنة ومتعددة ومتنوعة وسائلة وغير قادرة على الاحتفاظ بشكلها لفترة زمنية طويلة وإنما مؤقتة من دون عمر افتراضي، هذا يبيّن لنا أنّ الهوية كانت في الماضي تشكّل قاعدة الاستقرار الاجتماعي توجه السلوكات وتثبت خصوصيتها بناءًا على محدّدات وأبعاد متعارف عليها تظهر في أساليب عيش محددة تستند إلى سلسلة من القيم والأعراف والعادات والتقاليد، عكس ما أصبحت عليه في الزمن الراهن حيث صارت شيئا يضيفه الفرد على نفسه فيختار منها ما يشاء ويترك ما يشاء، فعملية التذويب والانصهار قد أعدمت وقتلت الهويات المحلية ما سيخلق العديد من الفجوات التي تقتضي على وحدة المجتمع وتضامنه، وهذه التحولات تهدف إلى وضع مجتمعات بلا أصل ولا تاريخ وعلى الجماعات الوقوف أمام هذه التحدّيات حتى لا تكون فريسة يسهل القضاء عليها.

VI- تشكّل الهوية على ثقافة الاستهلاك:

شهدت الحياة الإنسانية في مرحلة ما بعد الحداثة تباينا واختلافا في أنماطها فسعي العولمة نحو تعميم نمط حياة واحد للأمم والشعوب ما شكّل لنا هويات تستند إلى حد ما على منطق الاستهلاك، لأن الأفراد لم يعودوا يؤمنون بالعادة والمألوف، فتلك المؤسسات التي تضع الاختيارات الفردية والتي تضمن كذلك دوام العادات والتقاليد لم تعد قادرة على الاحتفاظ بشكلها لزمن طويل، حيث أصبحت تتحلّل وتتغيّر وتتشكّل بسرعة تفوق الزمن اللازم لتشكّلها.

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 30.

يبيّن لنا مترجمنا "زيجمونت باومان" أنّ المجتمع المعاصر قد أصبح مؤسسة استهلاكية تظهر فيها الثقافة كوعاء للسلع ترمي إلى الترويج الثقافي، ولها تأثير ومفعول على سلوك الأفراد، فالتبعية الاستهلاكية هي الشرط الضروري لقبول ثقافة المجتمعات أو رفضها[1]، فهوية المرء تقتضي منه القدرة على التسوق أين يكتسب هذا الأخير مهارة في صياغتها وتدميرها كيفما يريد، كما وتعلق هذه الهوية عن أي هوية أخرى كونها تمنحه قدرا كبيرا من الحرية الفردية التي تجعله مسؤولا عن نفسه فحسب، وبتعبير آخر ستكون هناك هوية واحدة فقط وهي الهوية الاستهلاكية[2]، معنى هذا أنّ الاستهلاك في المجتمعات المعاصرة يمثّل عنصرا مركزيا ما يجعله أساس تقوم عليه الحياة اليومية وبالتالي فهو يوفر نقاطا مرجعية مهمة لبناء الهوية تضمن للفرد تماسكه الشخصي والاستمرارية وكذا التّكيّف مع الظروف المعيشية المتغيّرة.

إلى جانب ذلك، نجد أنّ ثقافة النّزعة الاستهلاكية قد فرضت بدورها على المرء أن يتماشى مع ضوء هذه التّحوّلات والتغيّرات حتى يكتسب قدرة على جذب الزبائن، فيقوم بعرض أسلوب حياته بمهارة تجذبهم إليه، وهو ما سيعمل على تعديل وإعادة صياغة الهوية الذاتية للفرد، فذلك سيظهر الأمر لا كاستجابة لضواغط خارجية تفرض أنماط عيش محددة لجماعة ما بقدر ما ستبدو كواحدة من دلالات الحرية الشخصية للأفراد[3]، فمع ثقافة الزمن المرن تخلّت الهوية عن مقوّماتها للمجتمع وحدته وانسجامه واستقراره، وذلك يرجع لهيمنة قوى السوق وبالتالي استحالة الحفاظ على تماسكها، فصهر الهوية وذوبانها يقابله ما يعرض على الفرد في السوق الاستهلاكية التي أصبحت تعرض عليه الجماعات بمثابة استهلاك مفروض، فإما أن يستهلك ما يعبّر عن ثقافة ما وإما أن يستهلك ما يعبّر عن ثقافة أخرى[4]

---

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 21.

[2] – عبد العلي حسن، **الحداثة السائلة وجدل الهوية**، https://www.alantologia.com، 2023/04/15م، 3 مساءا.

[3] – زيجمونت باومان وآخرون، –**حوارات وأفكار**–، مصدر سابق، ص20.

[4] – بوصبع وليد أكرم، **من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان**، مرجع سابق، ص75.

بمعنى انه يتم تحديد الهوية اليوم وفقا لما نشتريه إلى حدّ كبير أو من خلال إجبارنا على اختيارها، فمن خلال هذه المعاملة يعبّر الفرد عن هوياته من جهة ويحدّد له الهوية التي يودّ أن يكون عليها من جهة أخرى من خلال هذا المجال (الاستهلاك).

في نفس السياق، تعدّ الموضة حسب مترجمنا "زيجمونت باومان" المشغل الرئيسي للتغيّر في كل ثقافة، شرط أن يتماشى هذا التحويل مع الحالة الطبيعية التي تحدد من خلالها الطريقة المعيشية للجماعة البشرية، فتقوم هذه المؤسسات والهيئات بوضع إستراتيجية تخدمها ما يجعل الشكل الراهن للموضة تمثله هيمنة الأسواق الاستهلاكية واستغلالها اللامتناهي للوضع الإنساني، حيث يعبّر في ذلك قائلا: "**فالموضة تشكّل كل أسلوب حياة في حالة من الثورة الدائمة اللانهائية**"[1]، بمعنى أنّ الموضة قد أصبحت هي الأخرى تكتسب حمولة ثقافية كبيرة تفرض نفسها كسلطة اجتماعية تعبّر عن اتجاه ثقافي وأسلوب حياتي لمجتمع ما، ففي الزمن المنصهر غدت في سيرورة دائمة لا تعرف الثبات واللانهاية بل تبحث عن اللحظة الآنية التي تدفعها للتميّز عن عامة الناس ما يعكس لنا نموذج الحياة المادية المثالية للجماعات.

فحسب "جيل ليبوفتسكي" كانت الموضة سابقا خاضعة لمقومات المجتمع، وكانت الوحدة الفردية لا تستطيع تأكيد استقلاليتها وفق المعايير الجماعية ما حافظ على هويتها وأصالتها وكذا الحفاظ على جمال مظهر المجتمع[2]، فالاستهلاك قد أهمل وقضى على تلك الاختلافات النوعية التي تميّز الأفراد بعضهم عن بعض، وهو ما ساعد على ظهور سلوكيات وأنماط ومنتجات ثقافية جديدة، وأهم ما يميّز هذه الهوية هي أنها غير مقيّدة ببنى اجتماعية وإنما تتحرّك بحرية وهي منفتحة على التغيّر والتعديل بصفة دائمة.

---

[1] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 28.

[2] – جيل ليبوفتسكي، **مملكة الموضة زوال متجدد "الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية"**، تر: دينة مندور، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2017م، ص14–15.

يذهب كذلك المفكر "روبرت ميسيك" "Robert Misik" إلى تعريف الإنسان المعاصر بأنه إنسان متسوق ومجال الاستهلاك في نظره حاضر في كل مكان، ولذلك وجب على المرء اتّخاذ العديد من القرارات كل يوم فيما يتعلّق بما يجب شراؤه أو عدم شرائه، وعند تحديد عادات الاستهلاك المرتبطة باتجاه الحياة هي المرجعية المركزية لبقاء الهوية، ومن خلال هذا يعرف الفرد نفسه فلا وجود لحدود تحدّ من سعيه، وإذا كان صانعا لسعادته في صنع خيارات الهوية، فيمكنه تجميع نفسه وتغييرها كما يحلو له[1]، بمعنى أنّ للفرد قدرة ومهارة في صناعة هويته بعيدا عن الأطر التي تضعها الجماعة فيندفع باتّجاه ابتكارها وتحسينها ثم تبنيها، ولكن هذا لا يخلو من حاجته الدائمة إلى التنشئة الاجتماعية التي تسيّر جل حياته الشخصية كونها تضمن له سعادته وأمنه في عالم أصبح يحكمه اللايقين واللاثبات.

فضلا عما سبق، فإن العيش في فترة الحداثة السائلة قد فرض نمط التغيّر على الوضع الاجتماعي، فلم تعد البنى تقوم على معايير ومعتقدات صلبة متينة تضمن للأفراد الوحدة والاستقرار، بل فرض الوضع الجديد على الأفراد تبنّي مبدأ الإشباع اللحظي والآني للذات الفردية "**فما يمنح هذه الحاجات شكلها في أي مجتمع هو زيف الأنساق والضغوطات السوسيوثقافية، من خلال توظيف الميول الطبيعية لتصبح مادتها الخام، يظهر التقليل من أهمية حاجات الأمس والحط من نشأتها والسخرية منها وتقبيحها**".[2]

فإذا كان الأفراد مستهلكين لهوياتهم يسعون لإشباع ملذّاتهم وسعادتهم الشخصية بمنأى عن الآخرين، فإنه سرعان ما تتغيّر وتتبدّل اختياراتهم فيسعون للبحث عن أشكال جديدة بديلة أفضل من تلك التي امتلكوها سابقا، وبالتالي يستحيل وجود نمط ثابت تتأسس من خلاله الهوية.

---

[1] – حميد لشهب، **نقد الإستهلاكية في الحياة الغربية –رقمنة الإنسان وفقدان الهوية–**، مجلة الإستغراب، ع23، 2021م، ص158–159.

[2] – زيجمونت باومان، **الأخلاق في عصر السيولة**، مصدر سابق، ص 200.

علاوة على ذلك، كشفت الدّراسات السوسيولوجية في مجال التسويق عن سلوكات المستهلكين التي لها دور بارز في بناء هوياتهم، فغدت السلع المادية تبدو كامتداد للذات وغرضها وإنما هو تأكيد لهوية مالكها، حيث نشهد اليوم عملية انتقال من الاستهلاك الذي يركز على إرضاء الحاجة الأساسية إلى استهلاك قائم على التجربة باعتبار أنّ المستهلك أصبح يعبّر عن حالة شخصية واعية مرفقة بمجموعة متنوعة من الدلالات والمعاني الرمزية ما يجعل عملية الاستهلاك تمثل تجربة شخصية مشحونة بالعواطف تستند إلى التفاعل مع المثيرات التي تتمثل في الخدمات والمنتجات خاصة المنتجات المرتبطة بالوضع الاجتماعي أو الهوية الذاتية[1]، فعلى سبيل المثال شراء امرأة لفستان من الشركة الفرنسية Dior تعكس للأشخاص المحيطين بها بانتمائها لطبقة محددة ويتفاعل معها الآخرون وفقا لهذه الصورة الذهنية المكونة عنها، والذي بدوره يعكس لنموذج ثقافي له نمط معيّن وهوية معيّنة تحدد سلوك الأفراد من خلال طريقة ارتدائهم للسلع التي يمتلكونها، فهذه الهوية إنما هي إرضاء للذات والسعادة ومكافأة للعلاقات الاجتماعية.

فضلا عن ذلك، لاحظ عالِم الاجتماع المعاصر إدغارموران ("Edgar Morin") أنّ المنتوج الثقافي يخضع لنفس مقاييس الإنتاج الصناعي، حيث تمارس عليه معايير المردودية والسوق الاستهلاكية ما يجعل ثقافة الجماعات مصطنعة خاضعة لقانون العرض والطّلب ويعترف "مورغان" أنّ حالة ما بعد الحداثة هي حالة من اليأس والبؤس للوضع الإنساني[2] بمعنى أن الحياة التي أصبح يحياها الفرد لا تخضع لأي معايير ثابتة يستند إليها الفرد في تصرّفاته وأفعاله، والتي ستخلق بدورها له فيما بعد شعورا بالاغتراب، فيعيش في خوف وحزن دائم، وهذا عكس لطبيعته كونه يبقى "اجتماعيا بطبعه" لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن

[1] – قريش بن علال وآخرون، **أثر الإستهلاك الهوياتي في بناء هوية الزبون كوسيلة لتحقيق التميز**، المجلة الجزائرية للإقتصاد والإدارة، د.مج، ع05، 2014م، ص127.

[2] – ليلى غضبان، **بلاغة الإعلام في الحداثة السائلة**، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج05،ع02، 2022م، ص474.

الجماعة كما يزعم المفكر السوسيولوجي "إميل دوركايم" فهو قد فطر على العيش مع مجتمعه أين نشأ وتترعرع فيه وتفاعل مع الآخرين من خلاله تتكون شخصيته، والتي هي عبارة عن مزيج من خبرات ومهارات اجتماعية وثقافية وإنسانية متنوعة، وكلما أراد البعد عن هذا النظام جد نفسه يعود إليه كونه السبيل الوحيد لتحقيق أمنه واستقراره.

مما سبق ذكره، نستنتج أنّ الهوية في مرحلة السيولة قد أصبحت تقوم على منطق الإستهلاك حيث تخضع لعملية تطوير مستمرة مرتبطة بحياة الشخص الخاصة، وبذلك تغدو بناءًا ديناميكيا يقتضي إعادة التّأسيس والتشكيل مرارا وتكرارات وترتبط بمدى فهم المرء لنفسه وللعالم من حوله من جهة أخرى، وحسب باومان فإن الهوية تظهر فقط من خلال ثقافة الاستهلاك اذ يقول في ذلك: "**الهوية الفريدة والمتفردة لا يمكن التعبير عنها إلا في مادة يشتريها كل واحد على حدة، ولا تحقيقها إلا من خلال التسوق**"[1]، فهذا يكسب الفرد ثقة بنفسه ويفتح أمامه آفاقا جديدة يختار من خلالها هويته وفقا لرغباته وميولاته فيمتلكها ويتركها كيفما شاء.

V- تحدّيات التعليم في ظل السيولة:

يعدّ التعليم من بين أبرز الميادين التي عملت من خلاله وأجله العديد من الفلسفات والتيارات، فهو السبيل الوحيد الذي يحقق التنمية الذاتية وبفضله ترتقي المجتمعات باعتباره الآلية التي تساهم في النهوض والبناء على المستويين الفردي والجماعي على حدّ السواء فمع ظهور العولمة برزت العديد من التغيرات والتطوّرات التي مسّت هذا القطاع ما حتّم عليه التّكيّف مع متطلّبات ومستجدات العصر، أين أعيدت صياغة النظم التعليمية والمناهج حتى تساير التطوّر المعرفي والحضاري للعولمة التي تجري سريعا إذ لم يعد التعليم التقليدي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة، ولم يعد المعلم هو الناقل فحسب بل هناك مصادر متعددة

[1] – زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، 140.

للأدوات المعرفيّة[1]، الأمر الذي شدّ انتباه المفكّر البولندي "زيجمونت باومان" فحسبه منظومة التعليم هي الأخرى أصبحت تحت وطأة السيل الجارف للمعلومات ما خلق أزمات وتهديدات على هذا القطاع.

بداية نشير إلى أنه بالرغم من تعدد وتنوّع تعريفات التعليم إلا انه يشكّل "**عملية اكتساب ناجمة عن تفاعل الفرد مع محيطه من خلالها تغييرا أو تعديلا في سلوكه ويكون الهدف من وراء هذا التعديل أو التغيير هو تحقيق نوع من التوازن بين الفرد ومحيطه**"[2]، بمعنى انه عملية تواصلية تجمع بين المعلم والمتعلم وفق معايير منتظمة ومقصودة تكسب الفرد العديد من المهارات والإمكانيات والمبادئ التي تمكّنه من الوصول إلى كل ما هو جديد، وكذا توجيه سلوكاتهم وتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع فبه تنهض الأمم وترتقي وفي موضع آخر يعرفه "حارث عبود" على أنه "**مهمة ذات إطار طبق الآليات وإستراتيجيات مختارة وبمشاركة فاعلة من الدارسين ما ينتج هو ما يسميه بالتعليم، ولا تطلق مفردة التعليم على النشاط المحصور داخل المؤسسة التعليمية، مدرسة كانت أو جامعة وما شابهها، بل يمتد ليشمل النشاط التعليمي فارجعها كذلك**"[3]، فهو عملية منتظمة تبنى على مجموعة من الإستراتيجيات تكسب الفرد معارف ومكتسبات تثري رصيده بما يتماشى مع العصر وتطوراته، كما ويعد فعل اجتماعي يصقل شخصية الفرد وتحصيله العلمي بما يتلائم أكثر مع المجتمع الذي يعيش فيه.

نجد أنّ التعليم في زمن الحداثة الصلبة قد استند على برامج ثابتة ومحددة كونه يقوم على التلقين، حيث كان المعلم هو المصدر الوحيد في تزويد الأشخاص بالمعارف والمعلومات وفق مجموعة من الوسائل والأدوات البسيطة تظهر في جداول محددة وأماكن

[1] – فلاح القريشي، **أثر العولمة في المجال التعليمي التربوي**. https://www.sironline.com، 2023/05/04 الساعة 09:35 صباحا.

[2] – خالد المير وآخرون، **بيداغوجيا الدعم –التعليم والأساليب المعرفية "سلسلة التكوين التربوي"**، دار الاعتصام، 1999، ص 70.

[3] – حارث عبود، نرجس حمدي، **الاتصال التربوي**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 01، الأردن، 2009.

مخصصة ووقت معيّن ومحدد يشترط تواجد المعلم وحضوره خلال الفصل الدراسي[1]، وقد ارتكز في هاته الفترة على ثلاثة محاور رئيسية هي: المعلم- المتعلم- الكتاب، ولا وجود لأدوات التكنولوجيا، وهنا يكون قائما على التواصل المباشر الذي يسهل عملية الاستفسار من قبل المتعلم ومن استجابة وتفاعل المتعلمين في محور العملية التعليمية[2]، إلا انه في الزمن الما بعد الحداثة قد خرج عن نسقه المعتاد فحسب "باومان" قد أصبح مرنا ومتغييرا وذلك يعود للتطورات المذهلة خاصة في تكنولوجيا المعلومات والاتصال ما خلق مكامن تأزمه، كون المتعلمين قد عجزوا عن فهم أسراره وحلّ ألغازه التي باتت تلعب بعقولهم[3]، فهذه التحديات الخطيرة التي مسّت التعليم حتمت على الباحثين والمتخصصين وضع برامج جديدة تتوافق مع متطلبات العصر، وكذا تنمية النزعة الذاتية من أجل مقاومة سيول وفيضانات هذه الثورة التكنولوجية.

يرى "باومان" أنّ التعليم قد فقد قيمته في اكساب الفرد الخبرة المهنية التي تجعله مفيدا للمجتمع، حيث أصبح مجرّد حشو للمعارف دون الاهتمام بالجانب المعرفي بسبب فيض المعلومات ذات الطابع الجزئي وهو ما جعله يتّسم بالنسيان، فحسبه "**لم تعد الثقافة والحداثة السائلة تبدو كثقافة تعلّم وتراكم، كما كانت الثقافات المدونة في تقارير علماء التاريخ والإثنوغرافيين ولكن عوضا عن ذلك تبدو كثقافة انسلاخ وانقطاع ونسيان**"[4]، معنى هذا أنه لم يعد المتعلم يختبر قدراته على التذكر بقدر ما يكتسبه من مهارة على النسيان والتفكيك بين العناصر المعرفية.

---

[1] – مصباح غريبي، **فلسفة التعليم في زمن الحداثة السائلة**. https://www.arabhumforliterature.com 2023/04/04، 08: 05 مساء.

[2] – عبدوني نور الهدى، **التعليم في عصر الحداثة السائلة –زيغمونت باومان–**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر جامعة جيلالي بونعامة– خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2022، ص 34.

[3] – رسول محمد رسول، **منظومة القيم في عالمنا الاستهلاكي**، https://www.awasat.com ، 2023/04/05، 10:15 صباحا.

[4] – نقلا عن أحمد مبارك، بكيري محمد أمين، **السيولة وتجلياتها في مقاربة باومان الندية**، مرجع سابق، ص 1293.

وفي نفس السياق، يؤكد لنا مترجمنا حاجة الأفراد إلى التعلّم والتثقيف باستمرار باعتبار أنّ الجهل يمثل الإرادة، ما يلزم المتعلمين من تحديث معارفهم المهنية واستيعاب المعلومات التقنية الجديدة لا بهدف الإلمام بها وإنما بكيفية تحصيلها وتوظيفها، وإذا كان التعليم عملية تهتم بإكساب الفرد كيف يتعلّم ذاتيا فإن هذه العملية تتطلب تغييرا جذريا في الكثير من المفاهيم والعلاقات[1]، فاتساع نطاق المعرفة بفعل وسائل وأدوات التكنولوجيا كالانترنت والتلفاز والقنوات الفضائية سيكسب المتعلم مهارات جديدة في مجالات عدّة وبالتالي سيتحرر من البرامج المحددة ما سيؤدي إلى تنمية قدراته وإغناء معارفه وتعزيز وضعه الاجتماعي ودوره القيادي، ودور المعلم هنا يتغيّر فبعد أن كان الناقل للمعرفة يرجع موجها لها يقدم لتلامذته يد العون لإرشادهم إلى موارد المعلومات.

فضلا عن ذلك، يتفق العديد من المتخصصين في المجال التربوي على أن استخدام التعليم الالكتروني يحتاج إلى مؤهلات مادية وشرعية وإلى نظام تعليمي يدعم هذه البنية، ولا يتحقق ذلك اذ ما لم يكن هناك موارد وكوادر بشرية مدرّبة وجاهزة لاستخدام هذا النوع من التعليم[2]، ولا يخفى علينا أنّ هذا النوع من التعليم في طياته يحتوي على جملة من التعقيدات المعرفية بدليل أنّ جل الظواهر التي يحتويها الواقع الراهن تتسم بالتعقيد، إلا انه يفتح أمام المتعلمين العديد من الفرص لإثبات قدراتهم واكتشاف الحلول المبكرة، ولا يتحقق ذلك إلا بتنشيط القدرات العقلية والذي بدوره ينمي روح المثابرة وشحذ الأدوات المعرفية من مناهج الفكر، وكذلك استخدام نظم المعلومات والكمبيوتر ما يسهل على المتعلم حل المشاكل التي تواجهه.

ضف إلى ذلك، يعترف "باومان" بأن الوضع السائل الذي طغى على مختلف نواحي الحياة الاجتماعية خلق العديد من المخاوف نتيجة إزاحة المسلّمات والمقدّسات واليقين الديني

[1] – زيجمونت باومان، **الأخلاق في عصر السيولة**، مصدر سابق، ص 232.

[2] – احمد مبارك، بكيري محمد امين، **التعليم الالكتروني في زمن الكورونا –التجربة الجزائرية تحديات ورهانات–**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 07، ع 02، 2019، ص 07.

ومظاهر الشر ترتبط بشكل وثيق بالتّطوّر التكنولوجي والمعلوماتي[1]، وهذا يعني أنه إذا كان التعليم يستند إلى هذه الأخيرة فإنه يخلق مجتمعا يعيش الخوف والقلق، مما سيؤول إليه الوضع في المستقبل باعتباره نظام متجاهل للمعتقدات والقيم والأديان، فلا مرجعية إلا مرجعيته، وعليه فيجب على الإنسانية وضع معايير جديدة للحفاظ على بنى العملية التعليمية ولا يكون ذلك إلا بتربية روحية ركيزتها الثوابت الدينية والعقيدة الصحيحة التي تنشر قيم التضامن والتكافل الذي يحقق الطمأنينة والاستقرار.[2]

تجدر الإشارة كذلك إلى العلاقة الوثيقة التي تربط الثقافة بالتعليم باعتبارهما ركيزتان مهمتان في تكوين مجتمع قوي ومتماسك، فلا تقوم الأمة إلا من خلال نخبها وممثليها ومدى تمتعهم بقدر من التعليم الذي يساعدهم على التواصل والتفاعل من أجل تحقيق الرخاء الاجتماعي وكذا الحفاظ على هويتهم وثقافاتهم، وقد كان للعولمة أثر بليغ على الثقافة، فهي قد حولتها إلى ثقافة عالمية موحدة تخترق كل الثقافات المحلية تتميّز باتساع الأفق والانفتاح على الآخرين، دون أي تعصّب، فالتعددية الثقافية حسب "باومان" تقتضي وضع نظام يسيره مديرين ومشرفين ومتعلمين من اجل التّكيّف مع أنماط الواقع الجديد[3]، بمعنى أنّ التعليم يمثل طوق النجاة لكل الأمم والشعوب في عصر مضطرب خاضع للتغيّر باستمرار، وإذا كان التعليم احدى عناصر الثقافة ومنظومة من منظومتها فغنه بمثابة الركيزة التي تتحرّك حوله مختلف العناصر والمنظومات الأخرى، كما ويساعد التعليم الثقافة من تحقيق أهدافها وظائفها ويحفظ مقوماتها واستمراريتها.

---

[1] – سعيدة سوهال، **التربية الروحية وأثرها في الحد من آثار جائحة كورونا في زمن الحداثة السائلة** https://www,portal;arid.com، 2023/04/06، الساعة 13:15 زوالا.

[2] – زيجمونت باومان، **الثقافة السائلة**، مصدر سابق، ص 56.

[3] – نقلا عن: https://www.hindawi.com ، 2023/04/06، 4:00 مساء.

علاوة على ذلك، خلقت الحداثة السائلة ثقافات إلكترونية وهي تشير إلى تلك "**الثقافات المشكّلة في الفضاءات الاجتماعية على الانترنت او المرتبطة بها**"[1]، فهي بمثابة البيئة الالكترونية التي تتلاقى فيها جملة من الثقافات ويكون ذلك عن طريق مجموعة من الوسائل والأدوات الإعلامية التي بدورها تؤثر على هويات الأمم وتجعلها مرنة ومتعددة وقابلة للتغيّر حيث تقبل "**هذه الهوية الخضوع لتضخيم في الفضاء الالكتروني بكونها هوية سائلة**"[2]، معنى هذا أنّ الكوكبة أو ما يعرف بالعولمة قد أزالت كل الحواجز الثقافية القومية للشعوب بما تنطوي عليه معتقدات ونظم اجتماعية وسياسية وعادات وقيم وتقاليد صلبة قد أصبحت متغيرة في الزمن السيولي بل لابد من تغيّرها وفقا لما تمليه الحاجات المتغيرة باستمرار.

ومما سبق ذكره، نستنتج أنّ التعليم السائل في الزمن السيولي قد أصبح مهددا حسب "باومان" كونه أصبح يقدّم معارف جزئية وليست تراكمية عكس ما كان عليه في الماضي وبالتالي ينبغي وضع أساليب وإستراتيجيات جديدة تتوافق مع مستجدّات العامل المعاصر، ولا يكون ذلك إلا من خلال تأهيل المتعلم ومداومة تنمية قدراته وصيانة موارده الذهنية حتى يثبت كيانه ووجوده[3]، وبالتعليم تكون نهضة الأمم وتطوّرها، إضافة إلى فتحه أمام المتعلم آفاقا حيث أصبح يتعلم في أي وقت ومن أي موقع وفي أي مكان، فعلى سبيل المثال مع ظهور فيروس كورونا أصبح المتعلمون يدرسون عن بعد دون أن يلتحقوا بمقاعد الدراسة ما يدل على نجاحه، ليس ذلك فقط بل للتعليم أثر بارز على ثقافات الأمم كونه يبنى من خلال العديد من المقومات وله دور فعال في الحفاظ على الهويات وصيانتها، وعلى الرغم من إيجابياته، إلا أنّ التعليم في الزمن السائل والمائع يحمل في طياته جوانب سلبية، فهو قد أفقد المتعلمين الصلة بالماضي وألغى كل المرجعيات التقليدية كونها لا تحمل أي قيمة، فهي لم

[1] – نقلا عن عبدوني نور الهدى، **التعليم في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص 54

[2] – نفسه، ص57.

[3] – محمد محمد سكران، **التربية والثقافة فيما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 139– 140.

تعد قادرة على الصمود في مواجهة موجة التغيرات والتحولات المتسارعة، وهو ما خلق تعقيدات داخل المنظومة التعليمية.

الـفصل الثّـــالث

قيمة أطروحة "زيجمونت باومان" في فهم تمظهرات الواقع المعاصر للمجتمع

المبحث الأوّل: المشروع الباوماني في ميزان النّقد

I- تثمين فكر "باومان":

يعدّ مترجمنا البولندي "زيجمونت باومان" من بين أبرز النّاقدين في القرن العشرين، وأهم ما يميّزه عن من سبقوه هي قدرته العالية والعميقة على التحليل والنّقد، إذ نجد أنه قد بنى نظريته الاجتماعية على الواقع المعاش بما يحتويه من انصهار وزوال لكل القيم و القواعد التي كانت قائمة في زمن الصلابة، وبهذا فبعد اطّلاعنا الواسع على أعمال ومؤلّفات هذا المفكّر وجدنا أنها جاءت لفقد الحداثة الغربية بكل ما تحمله من أسس ومرتكزات فـ"باومان" لم يترك ميدانا إلا وتحدّث فيه، إلى جانب ذلك نرى أنّ كل محاوراته النقدية قد صاغت في مصطلح السّيولة[1] الذي أحدث ضجّة كبيرة باعتباره ينتمي إلى حقل العلوم الطبيعية والفيزيائية، وهو ما دفع بالمفكّرين إلى الخوض والبحث والتحليل من أجل معرفة هذا المفكّر السوسيولوجي؛ الذي استطاع أن يمزج الحياة الإنسانية بمصطلح علمي، وعلى الرّغم من انه لم يكن معروفا من قبل إلا أنه تمكّن من وضع بصمته التي لاقت رواجا كبيرا خاصة بعد إصداره لسلسلة السيولة التي تضمنت كل كتبه بداية من الحداثة السائلة التي وضّح فيها أنه قبل الحداثة السائلة كانت هناك حداثة عقلانية منظمة يمكن التّنبؤ بها ومعرفة مآلاتها؛ في حين في زمن الانصهار والتّغيّر أصبحت كل الأسس يشوبها نوع من الغموض نظرا للتّطوّرات التي غدت تهيمن على مختلف القطاعات والميادين.

فضلا عن ذلك، أشار "باومان" في سلسلته كذلك إلى عدّة مفاهيم كالتّحرر، الفردانية، الزّمان والمكان، إضافة إلى كتبه الستة: الحب السائل والحياة السائلة والثقافة السائلة،إذ قام بمناقشة طبيعة الحياة المعاصرة أين انعدمت فيها الروابط[2] وتفكّكت، ما خلق نوعا من الاغتراب الذي غدا المرء يعيشه بالرغم من عيشه في وسط اجتماعي.

---

[1] – عبدوني نور الهدى، **التعليم في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص 57– 58.

[2] – رجاء طه محمد القاضي القحطاني، **رؤية نقدية لنظرية السيولة لزيجمونت باومان**، مرجع سابق، ص 454.

علاوة على ذلك، حاول مترجمنا من خلال طرحه لنظريّته وفكره النّقدي تحرير الإنسان من سجن "السّيولة"، فبعدما أصبحت هذه الأخيرة المحور الرئيسي الذي يشكّل الحياة الإنسانية بفعل النّزعة الاستهلاكية غدت المادّة ورأس المال هي المركز، وأضحت القيم والأخلاق مجرّد سلعة تُباع وتُشترى في السوق، ما خلق في الإنسان الأنانية وحبّ التّملّك فصار مهتما فقط بما يحقق له من أهداف ومصالح التي تخدمه، والذي جعل الحياة الإنسانية تفقد الإحساس بالوجود، فـ"باومان" من خلال محاولته لإعادة إنسانية الفرد رأى أنّ الإنسان ليس وسيلة بل غاية له قيمه الأخلاقية ومبادئه وطموحاته وأهدافه التي تجعل منه ذاتًا فاعلة في المجتمع، كما يرى أيضا أنه أكبر تحدّي للبشرية من خلال تأسيسه لسلّم القيم وبالتالي ينبغي إعادة ترتيبه لتجنّب مستقبل مجهول وضمان استقلالية وحريّة المرء.[1]

ضف إلى ذلك، تميّز "زيجمونت باومان" كثيرا من خلال أسلوبه كونه اعتمد على العديد من التّخصّصات والمصادر والأفكار والمعارف التي تساهم في تزويد الإنسان من بناء رؤيته وموقفه، فتحليلاته عميقة وغامضة، إلا أنه يمكن فهمها واستيعابها، إذ له قدرة مذهلة وباهرة على التحليل[2]، من خلال ربطه لقضايا اجتماعية بالأدب والفلسفة والتاريخ، فجل تفسيراته دقيقة تتمحور بصفة كبيرة حول العصر المعاصر[3]، والذي بدوره سيسهّل على الفرد فهم منظومة الواقع الذي يعيش فيه، فتنمو لديه رؤية نقدية متوازنة وعميقة يستطيع توظيفها في الوقت ذاته من أجل فهم مجريات عصره وفكّ شفرته وغموضه[4]، معنى هذا أنّ التحليل النقدي لـ"باومان" يجعل الفرد مدركا ومستوعبا لكل مشكلات الحياة التي تواجهه ويتعامل

---

[1] – أحمد امبارك، بكيري محمد امين، **السيولة وتجلياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مرجع سابق، ص1299–1300.

[2] – زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 11.

[3] – رولا رشوان، **زيجمونت باومان: موسوعي سنفتقده بشدة**، تر: غيداء الجويسر. https://hekmal,com، 19–04–2023، 10:00 زوالا.

[4] – زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 11– 12.

بتوازن مع مستجدّاتها؛ ما يحافظ على وجوده وكينونته وكذلك يساعده على تجاوز المشكلات ويبني حياة صلبة ثابتة لها مرتكزاتها التي تحقق أمنه واستقراره.

في نفس السياق، سعى "باومان" إلى الإجابة عن كل الأسئلة في مختلف مؤلّفاته السوسيولوجية المرتبطة بالتّطوّرات الاجتماعية المتعلقة بالأفراد والمجتمعات، خاصة وأنه فيلسوف اجتماعي له معرفة ودراية بإشكالية الحداثة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية، كما ونجده قد حاول أن يبيّن لنا الدّور الذي لعبته العولمة باعتبارها إحدى تجلّيات الحداثة، حيث كان لها أثر في تغيّر أنماط العيش الإنساني وتميّزت بغياب الأمن وعدم اليقين[1]، ما خلق هويات متغيّرة وانتشار الخوف من المستقبل المجهول، ما دفع بـ"باومان" إلى طرح تساؤلات الخروج من هذا الوضع المأزوم والحدّ من هيمنة العولمة وكيف يرجع الإنسان إنسانيته المسلوبة بفعل التّطوّرات والتّغيّرات، وبهذا جاء بمحاولات وتحليلات مفهومة تساعد القارئ على فهم هذه الأوضاع، كما دعا علماء الاجتماع نحو الخوض والاهتمام بهذا الواقع لتقديم منظور جديد من خلاله توجه الحياة للحد من سيطرة الحداثة الغربية[2]، بالإضافة إلى ذلك كان للتجربة اليهودية أثر كبير في تكوين فكر "مترجمنا إذ ساهمت هذه الحادثة في رسم خرائط الحداثة وما بعد الحداثة، وبرز تحليله النقدي المتميّز كما كان لحياة المنفى دور بالغ في تصوير عواقب الحداثة، فتجربة التهميش قد منحته رؤية فكرية جعلته ينظر للحياة نظرة مستقبلية قائمة على التنظيم والصّلابة وعبر ذلك في كلمات تركت أثرا بالغا، حيث يقول "فتنغشتن" في ذلك "**معنى كوني يهودي هو أنني في كل مكان**

[1] – عبد الإله فرح، **زيغمونت باومان والسوسيولوجيا**، مرجع سابق.

[2] – أحمد امبارك، بكيري محمد أمين، **السيولة ونتجلياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مرجع سابق، ص 1299- 1300.

خارج المكان" "وطني هو الآلة الكاتبة" "المكان الوحيد الذي يمكن فيه تناول المشكلات الفلسفية الحق وحلّها هو محطّة السكة الحديدية".[1]

إنّ فكر "باومان" لم يصل للقارئ الغربي فحسب، بل انتشر عند جميع الناس حيث يصرح في هذا الصدد قائلا: "**إنّ كتاب الحداثة السائلة عبارة عن رسالة في زجاجة مغلقة ألقي بها في البحر ليلتقطها قارئ مجهول من الشرق أو الغرب ويحاول فهمها واستيعابها والعمل بها**"[2]، معنى هذا أنّ رسالته قد عبرت البحار ووصلت لجميع مناطق العالم، وهو ما يتجلّى بوضوح عند المفكّرين العرب كـ "الحجاج أبو جبر" الذي شغف بفهم آرائه وقام بترجمتها، وكذلك المفكّر المصري" "عبد الوهاب المسيري" الذي بنى جل تصوّراته من خلال قراءاته الواسعة لأعمال المفكّر البولندي "زيجمونت باومان".

ضف إلى ذلك، على الرغم من أنه لم يكتب عن المجتمعات العربية إلا انه قد صرّح مرّة على مدى تأثير الحداثة الغربية على هاته المجتمعات؛ فقال: "**إنّ الكلمة أمانة ومعرفتي بالرّبيع العربي ضئيلة وربما منعدمة**"، ومن خلال تصريحه نجد أنه لم يكتب "باومان" عن العالم العربي إلا أنه لا يستثنيه من تأثيرات المشروع الحداثي الغربي، فكان "عبد الوهاب المسيري" كما وسبقت الإشارة إليه أنه أوّل مفكّر التقط رسالته واستطاع أن يستوعب ويفهم أسلوبه وفكره وقام كذلك بصياغة نماذج تفسيرية أساسية في نقد هذا المشروع وتحوّلاته في مرحلة الصلابة والسيولة.[3]

وبهذا فإنّ المفكر السوسيولوجي "زيجمونت باومان" قد تمكّن من تقديم وصف تشخيصي للوضع المعاصر وما يعيشه من تغيّر لا نهائي وخوف من المجهول ما حتّم عليه

---

[1] – نقلا عن حجاج أبو جبر، **نقد العلماني –دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان وعبد الوهاب المسيري–**، المركز العربي للبحاث ودراسة السياسات، ط 01، لبنان، 2017، ص 32– 33.

[2] – زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، مصدر سابق، ص 08– 09.

[3] – نفسه, ص10.

كشف عيوب المشروع الحداثي الغريب الذي خلق إنسانية مفككة يغيب فيها اليقين والثبات والانسجام والاستقرار.

II- عيوب الفكر الباوماني:

على الرغم من فطنة ودهاء المفكّر السوسيولوجي البولندي "زيجمونت باومان" في فهم الواقع المعاصر للحياة الإنسانية خلال مسيرتها وانتقالها من الصّلابة إلى السيولة التي خلقت العديد من الأزمات بفعل النزعة الإستهلاكية و التي ارتفعت وتيرتها و تعمقت أثارها مع العولمة، إلا أنّ دراساته وتحليلاته حول هذا الوضع تبقى محطّة للنقد والتشخيص كغيرها من الأعمال، ما حتّم علينا الوقوف عليها والإشارة إليها منها ما يلي:

- تجدر الإشارة في البداية إلى مترجمنا قد تأثر بالفيلسوف الألماني "جورج فيلهيلم فريدريك هيجل"، ويتجلّى ذلك في اعتماده على المنهج الجدلي، فهو يضع مصطلح "الحداثة السائلة" في مقابل "الحداثة الصلبة"، فيشير إلى القضية ونفيضها بطريقة ديالكتيكية، وهو شيء مألوف اعتاد الدّارسون ممارسته في تحليلاتهم فهو هنا لم يأتِ لنا بجديد، ولا يخفى علينا أنّ "هيجل" كان قد سبقه في الوقوف على عيوب المشروع الحداثي ، إلا أن "باومان" لا يعترف لنا بفضله عليه في صياغة آرائه وأفكاره.[1]

ضف إلى ذلك، في شرحه للحداثة الغربية نجده يفتقر إلى معالجة مشاكل مهمة كانت رائجة في ذلك العصر؛ كالاستعمار واللامساواة العالمية بين أوروبا والمستعمرات، كما نلتمس الغياب الكامل لبقية العالم، إذ اقتصرت تحليلاته فقط على الدول الغربية والأوروبية فحسب، وفي فهمه للحداثة الغربية اقتصر على تحليل محصور أدّى إلى إزالة ذلك الارتباط الجلي لأوروبا مع الآخرين الذين ساهموا بجهدهم وآلامهم وعذابهم في تأسيسها، فسوء الإدراك والوعي بهذه العناصر الجوهرية تعيب من تلك العمليات التنظيرية في تشخيص الوضع الإنساني، وهو ما وقع فيه مترجمنا، فمثلا في تفكيره حول "Stranger" يعجز

[1] - الزاوي بفورة، **مناقشة كتاب الحداثة السائلة**، قناة اللجنة الثقافية، 2023/04/18، 1:05 زوالا.

"باومان" عن تفسير بناء هذه الحالة وكذا دراسته لأوروبا والدّول القومية، بالإضافة إلى ذلك ينتج "الاختلاف" بالنسبة له تناقضا كون ما ينتج الاختلاف للفكر المناهض للاستعمار هو الحداثة نفسها، وكذلك في إشارته لمسألة "التّعاضد بين البشر" لا يلتفت إلى تجريد المجتمعات الأصلية من إنسانيتها باعتبارها أساس ضروري لقيامها.[1]

لا يفوتنا أن ننوّه كذلك، إلى أنّ "زيجمونت باومان" لم يستطع وضع نظرية شاملة خاصة به مثل العلماء السوسيولوجيين، كما انه لم يسعى إلى وضع مفاهيم نظرية أساسية في تحليلاته على سبيل المثال، الحركات الاجتماعية، الذات الفاعلة ... الخ[2]، ويلاحظ كذلك في تنظيره لحادثة "الهولوكست" التي قام من خلالها بكشف عيوب الحداثة الغربية من انتهاكات وجرائم التي أضحت تهدّد الكيان الإنساني لم يصرّح ببعض الأشياء، فالبعض يرجع ذلك إلى وجود نزعة خفية جعلته يتستّر على أشياء ويكشف بعض العيوب ، فتلك الصورة المثالية للغربيين ونجاحاتهم ما هي إلا صورة مجازية تعكس لنا الحروب والجرائم التي كان لها دور فعّال في الوصول لتلك الحالة من التقدّم.[3]

فضلا عن ذلك، لامه البعض في مسألة السيولة التي أصبحت تطغى على مختلف الجوانب الحياتية الإنسانية سواء في حياة المرء اليومية أو في اختياراته أو مشاعره، حيث غاب هنا التدقيق، ففي فكرة الإطار النظري المتعلّق بالسيولة هناك درجة من درجات التعميم الكبيرة، فيتحدّث عن أوروبا ثم عن الغرب ويشير إلى مناطق في الخارج بطريقة تكون شديدة الخفّة[4]، وفي رأينا على الباحث في المجال السوسيولوجي الإحاطة بجميع الجوانب والتّعمّق

---

[1] – علي قاسم، **قراءة نقدية في نقد باومان للحداثة**، https://al-khandak.com، 18-04-2023، 3:15 مساء.

[2] – عبدالإله فرج ،**زيجمونت باومان والسوسيولوجيا**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www,mominoun.com، 18-04-2023، 4:00 مساء.

[3] – محمد الغريب، **النقد الثقافي المعاصر في أفكار زيغمونت باومان**، مجلة الكلمة، ع 170، 2021.

[4] – منال يحي، **سيناريو مناقشة كتاب الحداثة السائلة**، https://www.khotwaceter.com، 2023/04/18، 8:45 مساء.

في دراساته حتى يتمكّن من تقديم توصيف دقيق نفهم من خلاله التحولات التي مسّت قطاع الحياة اليومية للمرء، وهو ما لم يعتمده "باومان" أثناء مناقشاته.

إلى جانب ذلك، استند مترجمنا أثناء نقده للحداثة الغربية على مفهومان أساسيان فقط هما: الحرية والأمن وهو دليل على فقر جهازه المفاهيمي، وقد وظّف "أليكس دوتكفيل" هذان الأخيران في كتابه "الديمقراطية في أمريكا" ما يدل على أنّ "باومان" لم يأتِ بالجديد، وفي نظر البعض لا يمكن وضعه ضمن مكانة محددة لعالم الاجتماع، فهو ليس بكاتب مقالات ولا منظّر ولا حتى رجل ميدان، بل هو نوع من المشاهد الذي يهتم بانتقاء مواضيع محددة دون أن يعرض حلول لها.[1]

من زاوية أخرى، يطغى على تحليلاته الأسلوب الأدبي ويظهر ذلك من خلال استعماله المكثّف للاستعارات والتشبيهات، ما يكسب أسلوبه نوع من الغموض وبالتالي صعوبة في فهم الأفكار التي يقوم بطرحها، فاستعماله لمصطلحي "الصلابة" و"السيولة" كان بصيغة مجازية وفي تحديده لهذه الصياغة استند إلى الموسوعة البريطانية والقارئ له ولأعماله يظن أنه لوهلة يعتمد الأسلوب العلمي في طرح آرائه وأفكاره، ولكن جلّ تحليلاته إنما هي تحليلات أدبية[2]، كما ويعدّ فيلسوفا تفكيكيا كونه يفكّك ويصف الحالات دون أن يقوم بعلاجها وإعادة بنائها ما حتّم على مشروعه النقدي الظّهور بشكل سردي تاريخي، إذ قام بربط الحداثة بالقدرة على الاهتمام بالمكان فحسب، ولم يربطها بالاكتشافات العلمية والقدرة على الغزو، فقد عرف الغرب الحداثة منذ أن قطع الصلة بكل ما هو غير عقلاني علمي لينتقل إلى عصر الأنوار الذي أعطى قيمة للعقل والعلم، لكن بالمقابل هذه الحداثة خلقت أزمات ومخاوف للإنسان بخصوص القيم والذات والمجتمع والحياة.[3]

---

[1] – أحمد امبارك، محمد امين بكيري، **السيولة وتجلياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية**، مرجع سابق، ص 1925.

[2] – الزاوي بغورة، **مناقشة كتاب الحداثة السائلة**، قناة اللجنة الثقافية، 2023/04/18، على الساعة 13:00.

[3] – عبدوني نور الهدى، **التعليم في عصر الحداثة السائلة، زيغمونت باومان**، مذكرة ماستر، مرجع سابق، ص 63.

الجدير بالذكر لم يقدّم لنا "زيجمونت باومان" حلولا لمجابهة هذا التحوّل والتغيّر الذي جعل المجتمعات تعيش حالة من الرهب والخوف، إلا أننا نجد أنّ المفكّر المصري "عبد الوهاب المسيري"* والذي كان قد تأثر به في تحليلاته استطاع وضع حل للوضع المأزوم الذي وصلت إليه البشرية أين دعا إلى وضع حداثة إنسانية بالرجوع إلى فهم الذات، ومن خلال التأكيد على الأنماط الأخلاقية والدينية كونها مرتكزات ثابتة لا يمكنها التغيّر وفق ما تمليه مرتكزات الحداثة، ولمجابهة هذا التّطوّر والتقدّم ينبغي على المرء إحلال التوازن بين الذات والطّبيعة والذي بدوره سيحمي الوجود المادي للأفراد، ولا يكون ذلك إلا بوجود البعد الروحي الذي ينظم ويحافظ على كينونة ووجود المرء في هذا الكون.[1]

مما سبق ذكره نصل إلى أنّ مترجمنا على الرغم من إسهاماته في فهم الوضع المعاصر إلا انه قد حلّل الوضع واستقرأه من خلال نظرته الخاصة ولم يقدّم حلولا لهذه المشاكل التي أصبحت تهدد مكانة الفرد في هذا العالم المهدد بالزوال والانهيار، فهو قد ركز كثيرا على لوم هذا المشروع الحداثي ولم يهتم بوضع الترياق الذي يحافظ على وحدة الأمم وأمنها، وما جاء به من آراء وتحليلات قد سبقه فيها مفكّرون آخرون ما يجعل من مشروعه مشروعا مألوفا وكذلك لم يستطع "باومان" تقديم وصف دقيق لما تعانيه الجماعات البشرية والأخذ بآرائه يكون على قدر من التوازن نظرا للعيوب التي يحتويها مشروعه النقدي.

* – **عبد الوهاب المسيري** (1938– 2008): مفكر وعالم اجتماع مصري مسلم، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية، أحد اكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين، الذي استطاع من خلالها إعطاء نظرة جديدة موسوعية موضوعية علمية للظاهرة اليهودية بشكل خاص، وتجربة الحداثة الغربية بشكل عام، نقلا عن https://or,wikipidia.com، 18– 2023/04، 10:00 مساء.

[1] – عماد الدين عشماوي، **قراءة في كتاب نقد العقل العلماني**، https://www.academia.edu، 2023/4/17، 3 مساء.

المبحث الثاني: تعزيز الهوية في فترة ما بعد الحداثة

I- جدلية صراع بين الأنا والآخر:

إنّ الحديث عن الهوية لا يرتبط إلا بإدراك حقيقة إنسانية وإظهار قيمة التنوّع الثقافي فالإنسان لا يمكنه أن يفهم ذاته دون إدراك للآخر، ولذلك لفهم الهوية بوصفها جوهر وجودي يشمل كل الخصائص الثقافية والاجتماعية والنفسية كل الجماعات البشرية لابد من نسيج علاقات سوية مع الأخر فاللآخر يشكل مرآة الذات[1]، فهو يستمد قوته ويبني علاقاته من علاقات أخرى[2]، لأن الآخر يمثل عنصرا أساسيا في فهم وتشكيل الهوية، فهو ملازم لصورة الذات، فاستدعاء الأنا يستدعي بالضرورة حضور الأنا على الرغم من طبيعة العلاقة التي تجمعهم، إلا انه لا يمكن الفصل بينهما، فكلاهما يحقق التوازن والانسجام داخل المجتمع، فلا يمكننا التّطرّق للحديث عن الأنا دون ربطها بالآخر لقول "جون بول سارتر" " Jean Paul Sarter" "**أنا في حاجة لتوسّط الآخر لأكون ما كان عليه**"[3] ، لكن منذ أثارت العولمة وبدايات ما بعد الحداثة تساؤلات حول إشكاليات عديدة منها إشكالية الهوية على النّطاق المحلّي والعالمي أصبحت الهوية في عصر الانتهاء محددة بالزوال، كما أنها صارت هوية استهلاكية تراعي المساواة بين البشر كما لا تعمل على احتواء الآخر[4]، بل تسعى لبناء هوية قائمة تمجيدا للذات وتهميش الآخر، بمعنى أنها ترى الآخر لا فضل له في تشكيلها كونها هوية واحدة لا تبالي بما يضمه الآخر[5]، ضف إلى ذلك ساهمت العولمة في إنهاء الأنا

---

[1] – أستاذ محفوظ، **سؤال الهوية والتنوع الثقافي** .https://islam4u .com، 2023/04/23، 15:30.

[2] – نصر الدين بن غنيسة، **عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، ط 01، 2012، ص 23.

[3] – يوسف محفوظ، **الآخر وإشكالية التعريف**، https:// attamwevi.net، 2023/04/25، 13:01.

[4] – إسحاق علي محمد، **إعادة إنتاج الهوية**، https://thatwb Ahlamontada.com/t790-tooic .، 2023/04/23، 22:55.

[5] – نصر الدين بن غنيسة، **عن الأزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، نفس المرجع، ص 39.

والآخر وربطته بواقع جديد قائم تكنولوجيا المعلومات الذي حوّل العالم إلى قرية إعلامية[1] يقوم فيها المرء بتصوير الهويات بدل الاندماج والتفاعل معها، وهذا ما أدّى إلى تفكك العلاقات الاجتماعية والتواصلية، فبعدما كانت الذات والآخر تمثل مقوّم رئيسي وصيرورة في تأسيس الهوية باتت اليوم تستمد من التنافر ورفض هوية الغريب، فالأخر له أهمية في تمثيل الذات فهو يكشف الأنا ويشخصها.

"**إنّ أهم مشروع علمي يمكنه أن يجسد لنا علميا مبدا التعارف على أرض الواقع الثقافي هو محاولة الوقوف عند طبيعة الصورة التي تخزنها ذاكرة كل هوية في تصوّرها للآخر**"[2] وهنا يمكننا القول أنّ الأخر يفتح باب التعارف للذات واندماجها مع الثقافات أخرى مختلفة عنها،ما سيساهم في بناء ذاتها من خبرات الآخرين وما يقدمه الواقع من تقنيات حديثة كمواقع التواصل الاجتماعي، التكنولوجيا، الانترنت قد سهّلت على الإنسان التعرف والاطّلاع على هويات الآخر مما سهل التفاعل الإيجابي مع مطالب الفكر العالمي.[3]

ودليل ذلك أنّ اختلاف لثقافات وتعددها يكشف ويشكل هوية تعمل على التحاور والتغيير والتثقيف كما يساهم في تنوع الحضارات، و"**إنّ الاختلاف بين البشر حقيقة ثابتة عرفها الإنسان منذ القدم ولا تزال قائمة في عصر التواصل والتقارب وهو لا شك من مظاهر التنوع العظيمة بين البشر، إذ إنّ الإنسان يعبّر عن أفكاره ومشاعره وينتج ثقافة و أدب بحصول التواصل بينه وبين الآخرين**"[4] معنى ذلك أنه لتحقيق التواصل والتعارف وجب تجاوز كل العقبات التي تحدد من نحن ومن الآخر، ضف إلى ذلك نجد أن هذا الانفتاح يشمل كل من الفكر العربي والفكر الغربي، بحيث أنّ الأنا والذات تمثل الفكر العربي والآخر

[1] – نصر الدين بن غنيسة، **عن الأزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، نفس المرجع، ص 20.

[2] – نصر الدين بن غنيسة، **عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، نفس المرجع السابق، ص 38.

[3]– هاجر مباركي، **الهوية بين الأنا و الآخر في أعمال أمين معلوف**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب و اللغات ،جامعة مستغانم، ص144.

[4] – نصر الدين بن غنيسة، **عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، منشورات ضفاف، ط 01، 2012، ص 19.

يمثل الفكر الغربي، فالاندماج بين فكرين مختلفين قد فتح أواصر التواصل والتفاهم والتفاعل بين هويتين مختلفتين كل الإختلاف كما و تعرف كلاهما على الأنا والآخر ودمج بينهما، لكن إذا رأينا نجد الأخر طغى على الأنا فارتجح بذلك الفكر العربي في إشكالية التشتت والازدواجية، فلم يعد التواصل يؤتي أي نتيجة وأضح الغرب هو المسيطر، يقول "محمد عابد الجابري" في ذلك: "**الغرب لم يقدّم نفسه بصورة واحدة بل ولا يزال يحمل إلى مشروع النهضة العربية مظهرين متناقضين؛ مظهر يمثل العدوان والهيمنة، ومظهر يمثل الحداثة والتقدّم بكل قيمها المعنوية**"[1]، وبهذا نجد الأنا العربية سعت لتشكيل هوية لها مقوّمات وأفكار بعيدة عن الآخر، ففي تشكيل صورتها ذهبت لتحقق الاستقلال عن الهيمنة الغربية، وفرض ثقافتها من خلال مزجها بمعطيات ثقافية ثابتة وأحداث تاريخية فرضت خيارات ثقافية لا يمكن التراجع عنها، أي أنها هوية تشكّلت من العلاقة الجدلية التي تربطها بالثقافة الغربية[2]، على عكس الأخر الذي يرى نفسه هو المحور المتميّز المتعالي، وفي مقابله وجب أن تتوسطه الأنا ليشكل لها محورا أساسيا[3]، فضلا عن ذلك اندثرت هوية الأنا والآخر فيما بعد الحداثة؛ كونها كانت تهدف إلى إنتاج إنسان جديد دون ذاكرة، يدعو لكبت خصوصية ثقافته وكذا العمل على منح الشعوب الغير الغربية حرية التحرر من هيمنة الآخر ووصفه بأبشع الصور إذا كانت الذات تنويرية، فالآخر ظلامي وإذا كانت عقلانية فالآخر أسطوري وهكذا، وعليه فإنها تدعو بناء هوية تضع نفسها كمصدر وحيد لقيم الرقي والتّقدّم[4]، بالإضافة إلى ذلك يرى "يورغن هابرماس" أنّ الاختلاف بين الأنا والآخر ليس السبب في أزمة الهوية

[1] – محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 02، بيروت، ص 27.

[2] – نصر الدين بن غنيسة، **عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، مرجع سابق، ص 28.

[3] – ميمونة مناصرية، **الهوية بين الأنا والآخر قراءة في التراث المعرفي**، مجلة العلوم الإنسانية، مج 06، ع 01، 2016، ص 212.

[4] – نصر الدين بن غنيسة، **عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة**، مرجع السابق، ص 22.

بل انشغال الآخر بدون الأنا قد ساهم في ولادة الخلاف، خاصة أنّ الأنا في الذات هي التي تشير إلى المستقبل والآخر يمثل الذات والذوات الأخرى.[1]

ومما سبق ذكره ،نستلخص أن جدلية الأنا و الآخر بالرغم من تنوعها و تعددها إلا أنها وصفت الهوية على أنها ذات جوهر وجودي لا تتشكل إلا بوجوده فإذا غابت الأنا يصبح الآخر لا وجود له ، فكلاهما مرتبطان و لا يمكن الفصل بينهما بالرغم من العلاقة الجدلية التي تجمعهم ،لكن مع ظهور العولمة عرفت هذه الأخيرة إنتهاء بحيث سعت لتأسيس هوية تقوم على الأنا و الآخر و التي تسعى لتكوين فرد ذو طابع عرقي و ديني لا يمد للآخر بأي صلة أي إنسان بدون ذاكرة

II- كيفية الحفاظ على الهوية في ظل التعددات الثقافية:

أضحت مشكلة الهوية في فترة ما بعد الحداثة تحظى باهتمام واطّلاع واسع من قبل المفكّرين والباحثين أكثر من أي وقت مضى، نظرا للتغيرات والتسارعات التي أصبح يعيشها العالم اليوم بفعل العولمة التي كان لها اثر بالغ في نشر نموذج فكري وسلوكي خاص مس الخصوصية الثقافية للجماعات البشرية[2]، باعتبار أنّ المجتمع ما هو إلا نتاج تلك الثقافة الموروثة التي تحدّد مساراته في الحياة، كما و تحدّد أوضاعه الاجتماعية وهو ما يميّز جماعة عن باقي الجماعات الأخرى، إلا أننا نجد أنّ الثقافة الاستهلاكية قد اخترقت منطق خصوصية الثقافات الأخرى، ما يستوجب ضرورة الحفاظ على الذات الجماعية المتمثلة في الهوية، وذلك من خلال مجموعة من الآليات التي يتم تطبيقها للحفاظ على توازن واستمرار ووحدة المجتمع.

يتّفق العديد من المفكّرين حول أنّ الهوية في الزمن المعاصر قد أصبحت تتأسس على ثقافة الاستهلاك، إذ إنّ التواجد المفرط للذات الفاعلة خلق العديد من التحولات العميقة

[1] – إسحاق علي محمد، **إعادة إنتاج الهوية**، مرجع سابق.

[2] – صالح العقون، محمود الأبرش، **آليات تعزيز الهوية الوطنية**، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، مج: 03، ع01، 2019، ص 33.

داخل الرباط الاجتماعي، ما حتّم على الجماعات وضع قانون يخضع للتوازن بين الثوابت المميّزة لمقوّمات الهوية والعناصر القابلة للتغيّر، وإلا كانت الهوية عرضة للتهديد والخطر ويعدّ الدين واللغة من الثوابت الراسخة التي لا تتأثر بالتغيرات وعكس العادات والقيم القابلة للتغيّر في الشكل الإيجابي الذي تضعه حركة المجتمع من خلال تفاعلاته بمحيطه الخارجي فما جاءت به الحداثة من قيم لا يمكن رفضها كلها والابتعاد عنها، فالبعض منها يقبل والبعض الآخر يرفضن ولا يكون ذلك إلا من خلال الفهم العميق للذات بقيمها ومبادئها ما يسهل تصفية قيم الحداثة فتنتقي منها ما يزيد في تطوّرنا ويخرجنا من دائرة التخلّف[1]، معنى هذا أنه لابد من العودة إلى الذات والإنسان في أبعاده القيمية والأخلاقية للحفاظ على الإرث الثقافي وكذا ضرورة الإقبال على الثقافة المعاصرة، فيأخذ المرء من الآخرين ما يفيده لمواكبة الثقافات الأخرى وهو ما يحافظ على هوية الأمة ويحقق تطوّرها من جهة أخرى.

في نفس السياق، تقتضي المسار الثقافي في فترة ما بعد الحداثة إلى إقامة بناء تنتظم وفقه المنظومة النفسية والفكرية والثقافية تجاه الأخر على نحو منهجي، كون قنوات التواصل وخاصة الانترنت قد سهلت الحصول على المعلومات وتبادلها مع الآخر بالصوت والصورة ما أعطى للآخر قدرة على التدخّل في كل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، بما يحمله من أفكار ومعتقدات والتعزيز هو الحل لمواجهته وعدم الاندماج به، فالجماعة بحاجة إلى الوعي بتاريخها الثقافي الزاخر بالإنجازات الرائعة والمتميّزة[2] باعتبار أنّ تاريخ الأمة هو لبنة وجودها وجزء أساسي لقيامها وبقائها، ودوره يكمن في الحفاظ على هوية الجماعات من خلال تدارسه وفهمه وكذا نقل ماضي الأجداد وتضحياتهم في مختلف ميادين الحياة إلى الأجيال الجديدة وينبغي كذلك أن يكون التاريخ مصدر فخر واعتزاز للأمم وجل المشاكل التي تعانيها

[1] – أسماء بن تركي، **الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيّرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، د مج، دع، دس، ص 633– 634.

[2] – زينب إبراهيم، **تعزيز الهوية الثقافية**، https://www.multaqaasbar.com، 2023/04/24، 3ك18 مساء.

المجتمعات اليوم؛ إنما مردّها إلى جهل أفرادها من هويات الأمم[1]، بمعنى أنّ استحضار الثقافة التاريخية للشعوب في ارتباط المجتمع المعاصر يجعل هويتها الحضارية متفرّدة ومتميّزة وقادرة على الاحتفاظ بخصوصيتها والنجاة من مخاطر الهيمنة الثقافية المعاصرة التي يتم تطبيقها من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة، فعلى سبيل المثال استطاعت دولة الجزائر أن تحافظ على تراثها الثقافي على الرغم من تعرّضها للاستعمار لمدة 132 سنة من (1830م- 1962م)، وذلك راجع إلى جهود جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها سنة 1930م التي تنادي إلى الترقّي بالجزائر العاصمة على يد العلاّمة "عبد الحميد بن باديس" من خلال إنشائه لعدّة مدارس في كل أنحاء الوطن وغيرها من الوسائل خاصة الثقافة (جريدة الشهاب 1952، جريدة البصائر السلسلة الأولى 1935م- 1937م م السلسلة الثانية 1947م-1956م... الخ)، وكذا إلقائه للمحاضرات والدّروس في المساجد والتي تسعى من خلالها إلى تكوين جيل محافظ على عاداته وتقاليده، وكذا دينه وتاريخ بلاده الذي سعت فرنسا إلى طمسه.

إلى جانب ذلك، ينبغي على المجتمع إنشاء مؤسسات تعمل على ترسيخ القيم الثقافية، ويكون ذلك عن طريق التعليم لما له من دور فعّال في تأسيس الهوية وتعزيزها والحفاظ عليها، حيث يقوم بتجربة الأبناء منذ الصغر على المبادئ والإيديولوجيات والأفكار التي تشكّل في النهاية هويتهم، ضف إلى ذلك يجب العمل على وضع أنشطة تلبّي رغبات الأفراد وحقق مقترحاتهم، هذه الأخيرة تركز على جوانب تستهدف تعزيز الهوية من خلال وضع مجموعة من الآليات التي يتم من خلالها الاعتزاز بالتراث الوطني للأمم، وكذلك تدريب الأفراد على كيفية صون هذا التراث والحفاظ على مفرداته[2]، وعليه فإنّ الإنسان يكتسب ذاته من خلال التنشئة الاجتماعية التي تسعى لبناء الشخصية الإنسانية، فيصبح

[1] – صالح العقون، محمود الأبرش، **آليات تعزيز الهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 38.

[2] – زهير مزارق، **القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة**، المرجع السابق، ص 12.

الفرد عضوا مشاركا في المجتمع ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التربية كونها العملية التي تستخدم كل الوسائل اللازمة لإعداد وتنشئة الإنسان[1]، ما يعني أنّ للتعليم دور فعّال في بناء المجتمعات لما له من دور في تنمية الحس بالانتماء لدى الأفراد والشعور بالهوية، لذا من الضروري وضع إستراتيجيات جديدة تعمل على تنمية شخصية الإنسان التي تجعل منه عضوا فاعلا في مجتمعه وتشجّعه على الإبداع وتعمّق لديه الشعور بالولاء للجماعة وتقيه من الاغتراب.

فضلا عن ذلك، تلخص لنا الباحثة والدكتوره "حكيمة بولعشب" بعض الآليات التي من خلالها تستطيع المجتمعات الحفاظ على هويتها في ظل التغيّرات التي تفرضها العولمة في النقاط التالية:

* محاولة المزج بين المجتمع الحديث والحياة الشعبية التي خلّفها الأجداد، وهذه المزاوجة لا تعني الانفصام بين النواحي الحياتية والتجارب الموروثة التي ينبغي أن تحضر وتقدم في ثوب جديد مع الحفاظ على الإبداعية، إذ لكل ثقافة محلية خصوصية، ولكن تجتمع كلها في صفات مشتركة تكون السمة الغالبة للهوية الثقافية؛

* التحديث الدائم للثقافة وتطويرها من خلال تبيان وضع المتحول من الثابت فيها بهدف الحفاظ على قوميات الشعوب؛

* إيجاد رؤية للعالم على أنه مجموعة واحدة تتبادل المنافع دون إسقاط الخصوصية التي تميّز كل جماعة عن موروثها الثقافي؛

[1] – فاروق جعفر عبد الحكيم، **الممارسات الديمقراطية بمدارس التعليم العام في مصر**، دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، مج 29، ع 01، 2019، جامعة الإسكندرية، ص 246.

* رفض العزلة والهيمنة في الوقت نفسه ومحاولة وضع الوجود الثقافي في المعترك الحياتي من خلال تطوير الثقافة الجديدة مع الثقافة القديمة حتى تصبح مزيجا من الأصالة والمعاصرة؛ وهنا يمكن المحافظة على الهوية ومواكبة الآخر؛[1]

كخلاصة، ارتأينا أنه ينبغي لنا الإشارة إلى بعض الدّول التي استطاعت أن تحافظ على هويتها في ظل هذا التنوّع والتعدد الذي فرضته العولمة منها:

* دولة ماليزيا: التي تمثل واحدة من أهم التجارب الناجحة التي استطاعت إدارة التنوع والتعدد وحوّلته إلى ظاهرة إيجابية استطاعت من خلالها تحقيق الاستقرار في جميع الميادين منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، حيث عملت على وضع نخب مهمتها ابتكار وسائل وآليات من اجل منح الشعب الماليزي المتمرّد عرقيا ودينيا شعورا مشتركا كانتمائهم لهوية قومية مشتركة، يجتمع الكل حولها وتصبح بذلك مصيرهم وهدفهم.

* بالإضافة إلى ذلك، يمثل النموذج الصيني كذلك الاستجابة الإيجابية للتحدّيات الراهنة للثقافة الاستهلاكية، غذ نجحت هي الأخرى في إعادة تأهيل نفسها للقرن الجديد، وقد اكتسبت مواقع قوية في جميع الميادين التي تخص المجتمع العولمي المتنامي، فما يميّز شعبها هو انه شعب محب لتراثه ومحافظا وشغوفا بما خلفه أجداده من حضارة عريقة، وهذه الدولة قد استطاعت صناعة حضارة أخرى تقوم على التكنولوجيا الحديثة المتقدمة مع حفاظها على هويتها في إطار مستجدات العالم المعاصر.[2]

* وقد تمكّنت دولة قطر هي الأخرى من التعبير عن ثقافتها وهويتها الخليجية والعربية، ما لأكسبها احترام العالم أجمع، فهي قد نجحت في تحقيق المعادلة التي تؤكد عليها المنظمات الدولية وهي تعزيز الحوار والتفاهم وحق التنوّع الثقافي، وفي الوقت ذاته حافظت على

---

[1] – حكيمة بولعشب، **تحريات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة**، https://www.aranthropos.com 2023/05/24، 04:15 مساء.

[2] – رنا مولود شاكر سلمان، **الهويات الفرعية وأثرها في الواقع السياسي العراقي**، المجلة السياسية والدولية، د مج، ع 37– 38، 2018، ص 587.

الخصوصية الثقافية لكل بلد، وهو ما لاحظناه من خلال تنظيمها لألعاب كأس العالم، حيث بقيت محافظة على مقوّماتها الثقافية، وقد صرّح الدكتور "إبراهيم صالح النعيمي" في هذا الشأن أنّ "**دولة قطر تتمتع بعلاقات متميّزة بين المواطن المقيم، أنّ هذا أحد مصادر قوّتنا**" لافتا أنّ التفاهم والتواصل بين مكوّنات المجتمع أمر مهم للغاية من أجل تقوية المجتمع.[1]

* علاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ هناك قبيلة تسمى الهادزا الموجودة شمال تنزانيا لا تزال تعيش حياة بدائية قد لا يتخيل تفاصيلها الإنسان المعاصر الحالي، حيث كشفت صحيفة "ديلي ميل" مؤخرا أنّ هذه القبيلة تعود إلى ما قبل 40 ألف عام، حيث تمثل جزء من الثقافة الإنسانية التي اندثرت مع تطوّر حضارات العالم، فأفراد قبيلتها لا يعرفون أيا من وسائل التكنولوجيا التي لا يستطيع المرء تصور حياته من دونها، إضافة إلى ذلك ما يميّز هذه القبيلة أنهم يتحدّثون بلغة تعد واحدة من أقدم اللغات القبلية كونها لغة تعتمد على تباين الإيقاع الصوتي والنقرات أكثر من الكلمات.

وقد سعت برامج حضرية إلى التعديل في القيم الحضارية لهاته القبيلة، إلا أنها فشلت بسبب تمسّك أفرادها بطقوس حياتهم العادية التي توارثوها عن أجدادهم[2]، وهو ما يظهر لنا انه على الرغم من هيمنة العولمة على ثقافات الأمم إلا أنها لم تستطع أن تقضي بصفة كلية على مقومات الهوية، فالمجتمعات اليوم أصبحت تتكيّف مع جل المستجدات التي يعرفها العالم المعاصر، ولكنها في مقابل ذلك تبقى محافظة على خصوصيتها ووحدتها وانسجامها وهو ما يميّزها عن الأمم الأخرى.

[1] – برهان غليون، **العولمة وأثرها على المجتمعات العربية**. https://www.uneswa.com، 2023/05/24، 5:30 مساء.

[2] – ينظر: https:// wwwfacbook.com، 2023/05/24، 10:30 مساء.

خاتمة

خاتمة

في ختام هذا الجهد المتواضع الذي عالجنا فيه مشكلة "أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة عند المفكّر السوسيولوجي البولندي" "زيجمونت باومان" وصلنا إلى النتائج الآتية:

1- كان المشّروع الحداثي الغربي بمثابة تحوّل حضاري للبشرية، تحرّرالفكر من كلما هو خرافي ساهم في إعطائه أولوية تعلي من قيمة العقل والعلم في مختلف الميادين.

2- إنّ فشل الحداثة وعجزها في تحقق مرادها في ضمان أمن واستقرار المرء شكّل تأزمها. ما أدّى لظهور فكرة ما بعد الحداثة التي أوجدت حركة انتقالية تجاوزت من خلالها الأطراف التقليدية للفكر الحداثي.

3- قدرة "باومان" على تقديم منظور مختلف ومغاير ينتقد من خلاله الفكر الحداثي وما بعد الحداثي، فهو قد عالج المشكلات بطريقة تحليلية نقدية عميقة واكتسابه لهذه المهارة يعود لتأثره بالكثير من الفلاسفة منهم: ليفيناس، أودورنو، جورج زيميل.

4- يعتبر "باومان" مبتكر مصطلح الحداثة السائلة كونها أداة من خلالها نستطيع الكشف عن الوضع الراهن للجماعة البشرية وما يلحقها من تغيّرات بفل العولمة والتقنية التي غيّرت مجرى حياة الفرد، وبذلك أعطانا نموذجا تفسيريا لهذا الوضع الذي انتقل من حالة الصلابة واليقين إلى عصر السيولة والتغيّر.

5- كان للفكر ما بعد الحداثي تأثير على جل الحياة الإنسانية، إذ إنّ التغيّر المستمر للأوضاع قد غيّر الأسس والبنى التي تقوم من خلالها المجتمعات، ما جعل الفرد في حالة خوف دائمة نتيجة هذا التغيّر اللانهائي.

6- إنّ غياب أسس ومقوّمات ثابتة للهوية في مرحلة ما بعد الحداثة خلق تأزمات عدّة تهدّد أصالة واستمرار الممء؛ مما ساعد على ظهور العديد من السلوكيات والمنتجات الثقافية الجديدة.

7- الانتقال من الصلابة غلى السيولة أعطى للإنسان حريته في اختيار ما يريد، بما في ذلك هوّيته.

8- إنّ للاجئين حسب "باومان" دور فعّال في جعل الهويّة غير مقيّدة ومتغيّرة، إذ إنها ساعدت في تشكيل هوّيات جديدة ومتعدّدة.

9- إنّ الهويات في فترة ما بعد الحداثة عند "باومان" تبنى على النموذج الشخصي للفرد، ما يكسبه مهارة في الاندماج وبالتالي تحقيق رغباته وأهدافه.

10- تمثّل الحرية والأمن ركيزتان أساسيتان في تشكيل هوية المجتمعات المعاصرة؛ ما يضمن حياة آمنة وسعيدة، ولا يكون ذلك حسب "باومان" إلا بتحقيق التوازن بينهما.

11- الهوية في مرحلة السيولة أصبحت تقوم على منطق الاستهلاك، والتي تخضع بدورها لعملية تطوير مستمرة ما يجعل بناءها بناءً ديناميكيا يرتبط بشكل وثيق بحياة الشخص.

12- إنّ التعليم بمثابة ركيزة أساسية في بناء ثقافات الأمم، إذ سيساهم بشكل كبير في الحفاظ على الهويات وصيانتها.

13- إنّ المشروع الباوماني مشروع يسعى لوضع أسس جديدة تحفظ قيمة المجتمعات في ظل السيولة، ولا يكون ذلك إلا من خلال التّكاتف بين الأفراد لتحقيق العيش المشترك.

14- استطاع "باومان" من خلال طرحه لأفكاره إيقاظ وعي المجتمعات بالتغيّرات الهائلة التي غدت تهدّد إنسانية الإنسان من أجل التّحصين ومجابهة هذا الواقع.

15- بالرغم من وعي "باومان" للأوضاع الراهنة التي تعيشها المجتمعات المعاصرة؛ إلا إنه لم يقدّم حولا ولم يعالج هذه التأزمات، و؟إنما نبّه لها فقط، وعملية التشخيص بدون وصف علاج يختلق العديد من المضاعفات.

16- ساهمت العولمة في إنهاء الأنا والأحر، فبقدر ما ساعدت تكنولوجيا الاتصال على التواصل بين الأمم والذي بدوره حوّل العالم إلى قرية صغيرة؛ بقدر ما خلقت فجوات وتفكّكات داخل العلاقات الاجتماعية والتواصلية.

17- إنّ الحل في الحفاظ على الهوية يكمن في وضع نظام وبنى اجتماعية تحدّد العلاقات مع الآخرين، وكذا يسمح للجماعات بالتّكيّف مع التّطورات فتحافظ على ثوابها وتعدّل متغيّراتها.

في الأخير، وعلى الرّغم من إلمامنا بحيثيات دراستنا التي تناولت موضوع أزمة الهوية في زمن ما بعد الحداثة عند "باومان"، إلا أنه تبقى بعض النقاط التي تحتاج لبعض من البحث والمقارنة والتحليل حول ما تركه مترجمنا من تصنيفات ثرية؛ الواجب على الباحثين السوسيولوجيين البحث عنها وإخراجها لاحتوائها على الكثير من الحقائق التي من خلالها نستطيع فهم الواقع المتغيّر الذي أصبح يهدّد كيان الإنسان، وذلك بإقامة ملتقيات وندوات علمية من أجل إنصاف مترجمنا كباحث سوسيولوجي له قيمة في فهم تمظهرات الواقع المعاصر.

القائمة البيبليوغرافية

القائمة البيبليوغرافية :

أولا: المصادر بالعربية:

1- الكتب :

1. زيجمونت باومان، الحب السائل، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2016.
2. زيجمونت باومان، العلاقات في زمن الاستهلاك إنسان بلا روابط، تر: فاطمة نسر، إصدارات سطور، 2004.
3. زيجمونت باومان وآخرون، قوة الكلمات – حوارات وأفكار–، تر: لطيفة الديلمي، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط 01، 2017.
4. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، تر: سعد البازعي، بثينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط 1، أبو ظبي، الإمارات، 2016.
5. زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة –العيش في زمن اللايقين–، تر: حجاج أبو جير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، ط 01، 2017.
6. زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، 2018.
7. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2016.
8. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكست، تر: أبو جبر، دنيا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، 2014.
9. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، 2016.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1- الكتب :

1. أحمد عبد الحي، التربية ومجتمع الحداثة وما بعد الحداثة، دار الورّاق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2013م.
2. إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، د ط، 2012.
3. أسرف حافظ، الهوية والصراع مع الذات –دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم–، دار كنوز للمعرفة، الأردن، 2012.
4. آلان تورين، نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1997م.
5. أليكس مكشللي، الهوية، تر: علي وطفة، ط 01، دار الوسيم، دمشق، 2012.
6. انطونيو غيدنز، علم الاجتماع، ت: د. فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 01، بيروت، 2005.
7. أولريش بيك، إليزابيث بك غرنز هايم، الحب عن بعد أنماط حياتية في عصر العولمة، تر: حسام الدين بدر، منشورات الجمل، د ط، بيروت، 2014.
8. إيريك فروم، فن الحب: بحث في طبيعة الحب وأشكاله، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة للنشر، د.ط، بيروت، 2000م.
9. بوزبرة عبد السلام، طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، جداول للمشر والتوزيع، ط1، الكويت، 2011م.
10. بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1995م.

11. تدهودرنتش، دليل إكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، ج1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا.
12. تيري إيجلتون، أوهام ما بعد الحداثة، تر: منى سلام، مركز اللّغات والتّرجمة، أكاديميّة الفنون، د.ط، 1996م.
13. جان فرانسوا ليوتار، في معنى ما بعد الحداثة (نصوص في الفلسفة والفن)، تر: السعيد لبيب، المركز الثقافي العربي، ط 01، الدّار البيضاء، المغرب، 2016م.
14. جيل ليبوفتسكي، مملكة الموضة زوال متجدد "الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية"، تر: دينة مندور، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2017م.
15. حارث عبود، نرجس حمدي، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 01، الأردن، 2009.
16. حجاج أبو جبر، مراجعة كتاب الثقافة السائلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، د.ب، 2018م.
17. حجاج أبو جبر، نقد العلماني –دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان وعبد الوهاب المسيري، المركز العربي للبحاث ودراسة السياسات، ط 01، لبنان، 2017.
18. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، مارس 2007.
19. ديفيد إنجليزن جون هيدسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط 01، 2013.
20. الزاوي بغورة، ما بعد الحداثة والتّنوير (موقف الأنطولوجيا التاريخيّة، دراسة نقديّة)، دار الطّليعة، ط1، بيروت، 2009م.

21. زكي نجيب محمود، رقمنة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والشرط، د ط، القاهرة، 1936.
22. سعودي كحول، التغير الجذري لمفهوم الثقافة في زمان السيولة عند زيجمونت باومان، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، د ت.
23. صدر الدين القبانجي، الإسلام وإشكاليات الحداثة، وحدة الدراسات والبحوث، ط1، 1430م.
24. طه عبد الرحمن، الحوار أفق للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، لبنان، 2013.
25. طوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحيّة جديدة (معجم مصطلحات الثّقافة والمجتمع)، تر: سعيد الغانمي، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، ط 01، بيروت، 2010م.
26. عباس الجراري، من قضايا الهوية الوطنية، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، ط 01، الرباط، المغرب، 2013.
27. عبد الإله فرح، الحب الافتراضي : مقاربة سوسيولوجية، مركز نهوض للدراسات والنشر، د.ع، 2019م.
28. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 01، بيروت، 1984م.
29. عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، دار امتنان للنشر والتوزيع، ط 02، جدة، السعودية، 1990.
30. عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 02، 2006.
31. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 02، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، (د ط)، بيروت، 1994.

32. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 07، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ط، بيروت، 1994م.
33. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مج 01، دار الشروق، ط 01، القاهرة، 2002.
34. علي حسين يوسف، ما بعد الحداثة وتجلّياتها النّقديّة، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، ط1، 2016م.
35. فتحي التريكي، رشيدة التريكي: فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، د ط، بيروت، لبنان، 1992م.
36. فتحي المسكيني، الهوية والحرية، نحو أنوار جديدة، جداول للنشر، لبنان، ط 01، 2011.
37. فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية –نشأتها وتطوّرها–، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 01، 2006.
38. كلور دوبار، أزمة الهويات، تر: رندة، بحث المكتبة الشرفية للنشر والتوزيع، ط 01، 2008.
39. مالك بن نبي، مشكلة الهوية، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ط 04، 2000.
40. محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل، دار الشبكة للأبحاث والنشر، ط1، لبنان، 2008م.
41. محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة (حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر)، دار الطّليعة للطباعة ولنشر، بيروت.
42. محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية –قضايا اللسان والهوية–، دار قالة، الأبيار، الجزائر، د ط، د ت.

43. محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2009م.
44. محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 02، بيروت.
45. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط 01، دار النهضة، مصر، 1999.
46. محمد محمد سكران، التربية والثقافة فيما بعد الحداثة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط 01، القاهرة، 2006.
47. محمد محمد فرج حسانين، الشباب بين الهوية وتحقيق الذات، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، مصر، 2019.
48. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي- أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية المتداولة في العالم وتعريفها-، دار أسامة للنشر والتوزيع، د ط، الأردن، 2012.
49. مطاع صفدي، نقد العقل الغربي الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، 1990م.
50. منذر فاضل حسن الدليمي، العدميّة في رسم ما بعد الحداثة، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، ط 1، عمان، 2011م.
51. المهدي عثمان، الهوية العربية في ظل العولمة، ط 01، دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان، 2019.
52. نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، ط 01، 2012.
53. نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، منشورات ضفاف، ط 01، 2012.

54. نك كاي، ما بعد الحداثة والفنون الأدائيّة، تر: نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1999م.
55. هارلمبسوهو لبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، دمشق، سوريا، 2010.
56. هاشم صالح: مدخل إلى التّنوير الأوروبي، دار الطّليعة، ط 1، بيروت، 2005م.
57. يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، د.ط، 1995م.
58. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارد الثقافة، سوريا، 1995م.

2- القواميس:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، د,ط، القاهرة، د.س.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج 15، د.د.ن، د.ب، د.س.
3. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، د.د.ن، د.ب، د.س.
6. بطرس البستاني، محيط المحيط، (قاموس مطوّل للغة العربية)، مكتبة لبنان، د.ط، د.س.
7. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، مج1، ط 2، 2001م.
8. الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، د س.

9. مراد وهبة، المعجم الفاسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007.
10. جبران مسعود، الرائد معجم ألفبائي في اللغة والإعلام، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، لبنان، ط 7، 1992.

3- المجلات :

1. ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيعن تونس، د ط، 2009.
2. جدراوي عفاف، حجاج خليل، سؤال الحداثة عند زيجمونت باومان، مجلة الرستمية، ع 03، فيفري 2021.
3. جلول مقورة، من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، مجلّة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة الشّهيد حمّة لخضر، الوادي، ع 28، ديسمبر 2018م.
4. حجاج أبو جبر، هل من مكان للهوية في عالم معولم " استكشاف "الهوية السائلة" عند زيجمونت باومان"، مجلة تبيّن، مج 11، ع 41، 2022.
5. حميد لشهب، نقد الإستهلاكية في الحياة الغربية –رقمنة الإنسان وفقدان الهوية–، مجلة الإستغراب، ع23، 2021م.
6. خالد حامد، النسق المجتمعي وأزمة الهوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
7. رجاء طه محمد القاضي القحطاني، رؤية نقدية لنظرية السيولة لزيجمونت باومان، مجلة كلية الحدمةعبد الإله الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جدة، ع 29، د ت.
8. رقية طيايرة، زتيلي خديجة، أزمة التعايش عند زيجمونت باومان، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 10، ع 01، 2022.

9. رنا مولود شاكر سلمان، الهويات الفرعية وأثرها في الواقع السياسي العراقي، المجلة السياسية والدولية، د مج، ع 37– 38، 2018.
10. ستيوارت هول، حول الهوية الثقافية، تر: بول طبر، المجلة العربية لعلم الاجتماع، ع 02، 2008.
11. سعاد سحنون، عبد السلام عمور، سؤال الهوية والاختلاف من منظور الفيلسوف زيجمونت باومان، مجلة رفوف، مج 11، ع 01، 2023.
12. شرارة حياة، بوعمامة العربي، واقع الهويات السائلة في سياق المثاقفة الجديدة، دراسة تقييمية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، مج 05، ع 01، جانفي 2020.
13. صالح العقون، محمود الأبرش، آليات تعزيز الهوية الوطنية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، مج: 03، ع01، 2019.
14. صديقة الفتني، حنان مالكي، الهوية الثقافية الجزائرية في زمن العولمة الثقافية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مج 12، ع 01.
15. عفاف جدراوي، عبد الغني بوالسكك، الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة، زيجمونت باومان قارئا لإيمانويل لفيناس، مجلة المقدمة للدراسة الإنسانية والاجتماعية، مج 07، ع 02، 2022.
16. علي عبد الكاظم الفتلاوي، مقاربة الهوية الوطنية سوسيولوجيا، مجلة المستوى الجامعي، ع 04، 2012م.
17. فاروق جعفر عبد الحكيم، الممارسات الديمقراطية بمدارس التعليم العام في مصر، دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، مج 29، ع 01، 2019، جامعة الإسكندرية.
18. فايد فواز، سعودي كحول، العمى الأخلاقي في زمان الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان، مجلة المعيار، مج 26، ع 05، 2022.

19. فضيلة شبابعة، تطوّر مفهوم الهوية من الفردي إلى الجماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، د.م.ج، ع 02.
20. قريش بن علال وآخرون، أثر الإستهلاك الهوياتي في بناء هوية الزبون كوسيلة لتحقيق التميز، المجلة الجزائرية للإقتصاد والإدارة، د.مج، ع05، 2014م.
21. كحال أبو بكر، أزمة الثقافة في عصر الحداثة: لما تغدو الثقافة سلعة، مجلة التدوين، ع 10، جامعة وهران، 2018.
22. ليلى غضبان، بلاغة الإعلام في الحداثة السائلة، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج05،ع02، 2022م.
23. محمد الغريب، النقد الثقافي المعاصر في أفكار زيجمونت باومان، مجلة الكلمة، ع 170، 2021.
24. مريم شريط، كتيبة بغامي، السيرورات التاريخية الكبرى لأشكال الهوية من منظور كلود دوبار، مجلة دراسات في علم الاجتماع المنظمات، مج 09، ع 02، 2022.
25. ميمونة مناصرية، الهوية بين الأنا والآخر قراءة في التراث المعرفي، مجلة العلوم الإنسانية، مج 06، ع 01، 2016.
26. نهى محمد أحمد السيد، سوسيولوجيا ما بعد الحداثة " زيجمونت باومان أنموذجا "، مجلة البحث العلمي في الآداب (العلوم الاجتماعية والإنسانيّة)، ج 04، ع 21، 2020.
27. نور الدين لبصير، تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، مج 03، ع 13، 2017.
28. همت بسيوني عبد العزيز محمد، تغيير مفهوم الحب في ظلّ الحداثة السائلة: دراسة من منظور البنيوية التكوينية عند لوسيان جولدمان، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، ع 26، جامعة كفر الشيخ، 2000.

29. اليزيد بوعروري، الهوية السائلة في المجتمعات المعاصرة، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 07، ع 01، 2022.
30. يوسف نصر، زينب مايدي، الهوية هيئة الانتقال من الهويات الفردية إلى الهويات الجماعية، مجلة الباحث الاجتماعي، ع 13، جامعة قسنطينة 2، 2017.
31. أحمد مبارك، بكيري محمد امين، التعليم الالكتروني في زمن الكورونا –التجربة الجزائرية تحديات ورهانات–، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 07، ع 02، 2019.
32. أحمد مبارك، محمد أمين بكيري، السيولة وتجلّياتها في مقاربة باومان النقدية للحداثة الغربية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 09، ع 02، 2021.
33. أسماء بن تركي، الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيّرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، د مج، د ع، دس.
34. إيهاب حسن، ما بعد الحداثة (إبهام المصطلح وغموض الدّلالة)، تر: بدر الدّين مصطفى، مجلّة الفنون المسرحيّة، مج 06، ع 01، 1981م.
35. بن قومار كريمة، الهوية من الفردي إلى جماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية ، مج 11، ع 02.
36. علا عزمي الشربيني المرسى ماضي، القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة، مجلة كلية التربية، المنصورة، مج 109، ع 01.

4- المقالات:

1. شراد فوزية، من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة –مكاتب التأزم وسبل الانفراج– منظور زيجمونت باومان، سلسلة الأبحاث الخاصة بالمؤتمر السنوى الدولى :"كيف نقرأ الفلسفة" المجلد 3، العدد 1، العدد 5، 2017.

2. خالد المير وآخرون، بيداغوجيا الدعم –التعليم والأساليب المعرفية "سلسلة التكوين التربوي"، دار الاعتصام، 1999.
3. خالد مزاتي، إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربيّة: جان فرانسوا ليوتار ويورغن هابرماس أنموذجان، جسور المعرفة، جامعة أدرار، الجزائر، مج 06، ع 04، ديسمبر 2020.
4. زروقي الدارجي، أخلاق المسؤولية وعار الصهيونية –قراءة في أخلاق الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس–، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ط 01، 2020.
5. زهير مزلزة، أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة –بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي– الجزائر نموذجا، القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2017.
6. زوغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
7. شعوفي قويدر، تأملات في الحداثة بين إيمانويل كانط وفريديريك هيجل، مخبر الفلسفة وعوديتاريخها، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 07، جوان 2018م.
8. عبد الإله فرح، زيغموت باومان والسوسيولوجيا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع 13، نوفمبر 2017.
9. عبد المنعم شيخة، قراءة في انهيار مشروع الحداثة العربي، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود، د.ع، 2015م.

10. عفاف جدراوي، الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيجمونت باومان – أفكار وآفاق–، مج 11، ع 01، 2023.
11. غالية رزوقي، جدل العلاقة بين اللغة والهوية في فكر الفيلسوف جاك دريدا، جامعة حسيبة بن بوعلي، د م، د ع، د س.
12. محمد هشام البطاط، الثقافة السائلة زيجمونت باومان (الحداثة وما بعد الحداثة)، سلسلة السيولة، ج 08، مقاربات معرفية.
13. محمد همام، الحداثة والخوف وكورونا، مركز النهوض للبحوث والدراسات، جامعة ابن زهر، المغرب، 2020م.
14. هالة عبد المنعم عبد المقصود، تحوّلات الهوية وطبيعتها الديناميكية في نحت ما بعد الحداثة، بحوث في التربية الفنية والفنون، مج 22، ع 02، 2021.
15. وفاء بن طراد، قراءات في مفهوم الهوية ومكوناتها، اللغة والدين والثقافة، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع20، 2017.

5- المواقع الإلكترونية:

1.أحمد نبوي، الحب السائل: لماذا يفشل جيلنا في الحب، https://www,ida 2 at.com.
2.يوسف محفوظ، سؤال الهوية والتنوع الثقافي .https://islam4u .com.
3.إسحاق علي محمد، إعادة إنتاج الهوية، https://thatwb. Ahlamontada.com/t790-tooic.
4.إسلام كمال، أزمة العلاقات العاطفية: لماذا أصبح عصر الحب قصيرا جدا، https://www.aljazeera, netmidia.
5.برهان غليون، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية. https://www.uneswa.com.
6.حكيمة بولعشب، تحريات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، https://www.aranthropos.com
7.رسول محمد رسول، منظومة القيم في عالمنا الاستهلاكي، https://www.awasat.com
8.رولا رشوان، زيجمونت باومان: موسوعي سنفتقده بشدة، تر: غيداء الجويسر. https://hekmal,com

9.زينب إبراهيم، تعزيز الهوية الثقافية، https://www.multaqaasbar.com.

10. سعيدة سوهال، التربية الروحية وأثرها في الحد من آثار جائحة كورونا في زمن الحداثة السائلة https://www,portal;arid.com.

11. عبد الإله فرح، زيجمونت باومان والسوسيولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www,mominoun.com.

12. عبد العلي حسن، الحداثة السائلة وجدل الهوية، https://www.alantologia.com.

13. علي قاسم، قراءة نقدية في نقد باومان للحداثة، https://al-khandak.com.

14. عماد الدين عشماوي، قراءة في كتاب نقد العقل العلماني، https://www.academia.edu.

15. عيسى برهوصة، جدل العلاقة بين اللغة والهوية، wwwhttps://olghad,com.

16. فلاح القريشي، أثر العولمة في المجال التعليمي التربوي. https://www.sironline.com.

17. فيونا أتوود، الحب السائل: هشاشة الروابط الإنسانية ... حوار مع زيجمونت باومان، تر: محمد العربي العياري، https://hekmah.org.

18. محمد أسامة، أنتوني جيدنز، عالم الاجتماع بحثا عن سياسة جديدة، https://www.ida2at.com.

19. مروة مختار، ستيوارت هول وتشكل الهوية الثقافية، https://www.academia.

20. مصباح غريبي، فلسفة التعليم في زمن الحداثة السائلة. https://www.arabhumforliterature.com.

21. منال يحي، سيناريو مناقشة كتاب الحداثة السائلة، https://www.khotwaceter.com.

22. مهدي جعفر، الهوية وإشكالية الاختلاف، https://m,ahwar, org, 19-03/2023.

23. الهوية فيما بعد الحداثة، https: //www alititihad.

24. يوسف محفوظ، الآخر وإشكالية التعريف، https:// attamwevi.net.

25. https : //encycolopedia.ushmm.org/content/ar/article/introduction-to-the-holocus

26. https:// wwwfacbook.com.مساء 10:30 ،2023/05/24 ،

27. https://ar,wikipedia org

28. https://www.hindawi.com /

6- الصحف والجرائد:

1. الزهرة قني، زيجمونت باومان "المساءلة النقدية للحداثة الغربية"، صحيفة المثقف، العدد 5572، 2019م، https://www.almothaqaf/com.
2. العلوي رشيد، زيجمونت باومان: من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، 12 يناير 2017، http://aawsat,con/mode.

7- القنوات:

1. الزاوي بغورة، مناقشة كتاب الحداثة السائلة، قناة اللجنة الثقافية، 2023/04/18، على الساعة 13:00.

8- الرسائل الجامعية:

1. بوصبع وليد أكرم، من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة عند زيغموند باومان، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022.
2. جدراوي عفاف، براديغم السيولة وتطبيقاته النقدية عند زيجمونت باومان، إشراف: دواق الحاج، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، الطور الثالث في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، 2020- 2021.
3. سمية عوار، صونية عيشن، إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة، رواية اليهودي الحالي لعلي المقري أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة محمد الصديق بين يحي، جيجل.
4. عبدوني نور الهدى، التعليم في عصر الحداثة السائلة -زيجمونت باومان-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2022.

5. ميمونة مناصرية، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة –من منظور أساتذة جامعة بسكرة–، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

6. هاجر مباركي، الهوية بين الأنا و الآخر في أعمال أمين معلوف،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب و اللغات ،جامعة مستغانم.

8- المراجع الأجنبية:

1- باللغة الإنجليزية :

1. Lana Kriphana, Zygmunt Bawman on modernity death, academia, edu/ zygmunt Bawman on modernity –death croation.

2. Révolution: Global trends & regional issuse, "for away from solid modernity-interview writh Zygmunt Bawman", vol 1, issue 1, June 2013.

3. Emmo Palese, Zygmunt Bawman, Individual and soreity in the liquid modernity, https:www,springerplus, com.

4. Jytte Holmaqvist, Modernity and postmodernity in Zygmunt Bawman, Sthoughts, https://academia, edu/ modernity and podtmodernity in Zygmunt Bawman's thoughts

2- باللغة الإسبانية :

1. Jose Marmol, Zygmunt Bawman yla identidad como problema ètico, unikersidad del pais vasco, Espana, 2019.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة شخصية لزيجمونت باومان

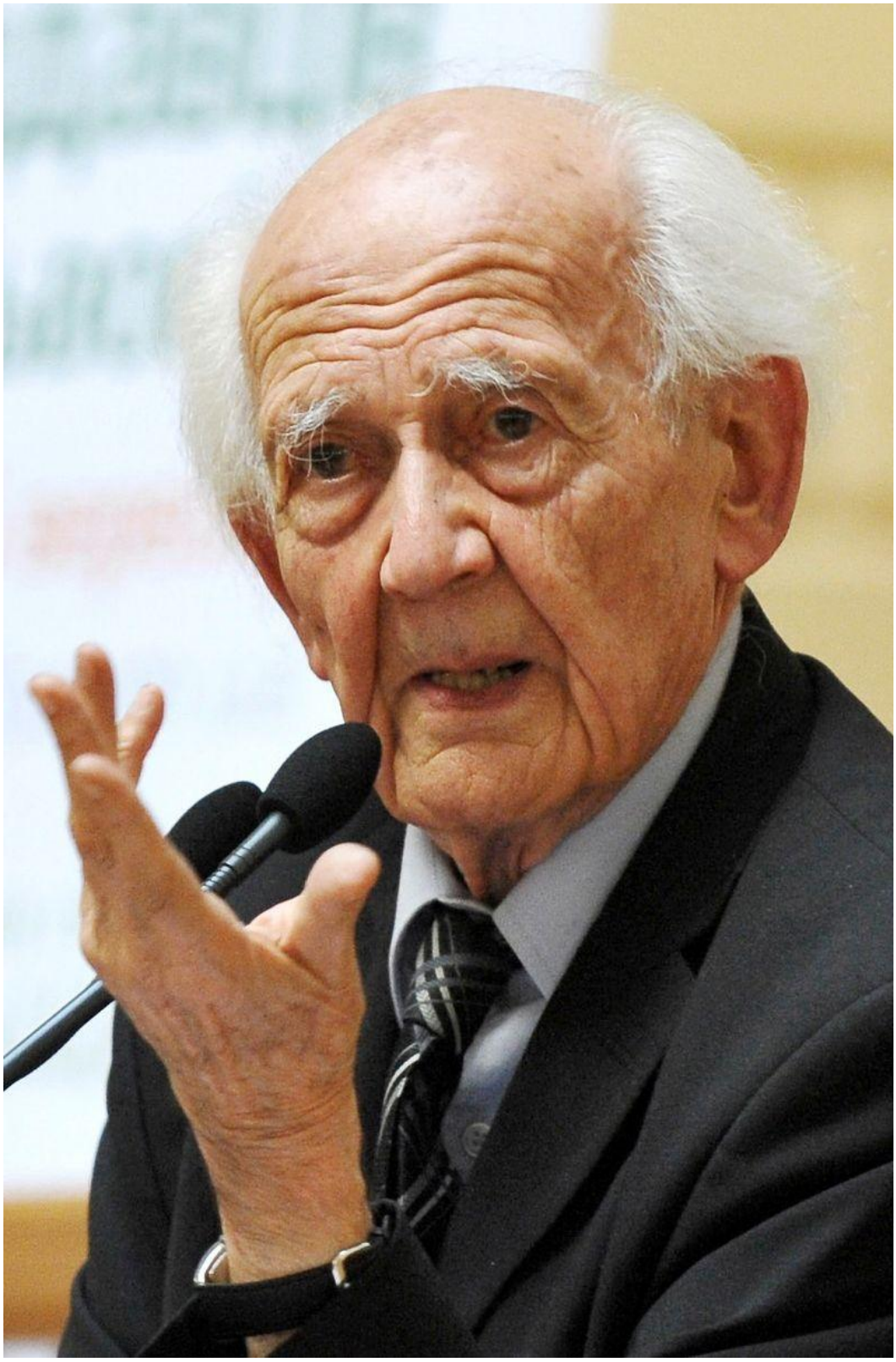

المصدر : https://www.mominoun.com

الملحق رقم 02 :صورة تبين اللباس التقليدي الجزائري المعروف باسم " الحايك"

المصدر :https://pin.it/30TwZ15

الملحق 03 : صورة توضح اللباس التقليدي الصيني " الهانغو"

المصدر :https://nabd.com/

الملحق الثالث : صورة لقبيلة الهادزا بدولة تانزانيا الإفريقية.

المصدر :https://doc.aljazeera.net

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير.....

الإهداء.....

مقدمة: 1

الفصل الأوّل:

المشروع الحداثي الباوماني

المبحث الأوّل: الحداثة وما بعد الحداثة، النّشأة، المبادئ والتّوجّهات العامّة.....9

I- مفهوم الحداثة.....9

II- أسس الحداثة الغربيّة..... 13

III- أزمة الحداثة وظهورها ما بعد الحداثة..... 22

المبحث الثاني: المقاربة النقدية للحداثة الغربية من منظور "زيجمونت باومان"..... 29

I- ترجمة زيجمونت باومان..... 29

II- مفهوم الحداثة عنده "الحداثة الصلبة، الحداثة السائلة"..... 32

III- أزمة الحداثة الصلبة وسبل الانتقال من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة 36

المبحث الثالث: الإنسانية وتحوّلاتها فيما بعد الحداثة..... 44

I- أزمة المشاعر في زمن السيولة..... 44

II- مشكلة الثقافة والمجتمع الاستهلاكي..... 48

III- مشكلة الأخلاق السائلة:.....**52**

الـفصـل الـثّـانـي:

تجلّيات الهويّة في ظل إستراتيجيات ما بعد الحداثة من منظور "زيجمونت باومان"

المبحث الأوّل: قراءة سوسيولوجية في الهويّة..... 58

I- مفهوم الهوية: -في معناها اللغوي-..... 58

II- أنواع ووظائف الهوية..... 61
المبحث الثاني: واقع الهوية السائلة عند "زيجمونت باومان"..... 76
I- طروحات الهوية في الزمن ما بعد الحداثي..... 76
II- الهوية ما بين الصلب والسائل عند باومان..... 81
III- تشكّل الهوية على الحرية والأمن..... 86
VI- تشكّل الهوية على ثقافة الاستهلاك..... 90
V- تحدّيات التعليم في ظل السيولة..... 95

الـفصل الثّـــالث

قيمة أطروحة "زيجمونت باومان" في فهم تمظهرات الواقع المعاصر للمجتمع

المبحث الأوّل: المشروع الباوماني في ميزان النّقد..... 103
I- تثمين فكر "باومان"..... 103
II- إسقاط لفكر باومان..... 107
المبحث الثاني: تعزيز الهوية في فترة ما بعد الحداثة..... 111
I- جدلية صراع بين الأنا والآخر..... 111
II- كيفية الحفاظ على الهوية في ظل التعددات الثقافية..... 114
خاتمة..... 121
قائمة المصادر والمراجع..... Erreur ! Signet non défini.
الملاحق..... 143
فهرس المحتويات..... 147

ثم بعوض الله